

الفصل الثانى

أثر الإيمان فى حياة المسلم وسلوكه

المبحث الأول : الإيمان وشخصية المسلم.

المبحث الثانى : أثر الإيمان فى جانب العبادة، وذكر الله وتلاوة القرآن.

المبحث الثالث: أثر الإيمان فى تحقيق سعادة المسلم.

المبحث الرابع: الإيمان وحب المسلم لربه والناس.

المبحث الخامس: أثر الإيمان فى تحقيق الرضا لدى المسلم.

المبحث السادس: أثر الإيمان فى الصوم عن المعاصى..

المبحث السابع: الإيمان والشوق للكعبة المشرفة.

المبحث الثامن : الإيمان وحق الله فى المال.

المبحث التاسع: الإيمان والجانب الأخلاقى

أ- الصدق. ب- أداء الأمانة.

ج- العفو. د- الصبر.

المبحث العاشر: الإيمان وتفكر المسلم فى ملكوت الله.

المبحث الحادى عشر: الإيمان والأمن النفسى.

المبحث الثانى عشر: الإيمان والأمل لدى المسلم.

المبحث الأول الإيمان وشخصية المسلم

١ - أثر الإيمان في سلوك المسلم:

الإيمان هو الركن الأساسى الذى بدأ الإسلام به فى تكوين شخصية المسلم؛ لأنه هو الجذر فى بناء شخصيته، وهو العنصر الأساسى المحرك لعواطفه والموجه لإرادته، ومتى صحت عناصر الإيمان فى الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه، وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه، وضبطها فيما يدفع عنه الضرر والألم والمفسدة، العاجل من كل ذلك والآجل، وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة العاجلة والآجلة من كل ذلك، وهذا ما يتطلبه منا الإسلام والدين الحنيف .

وقد أدرك حديثاً الباحثون من غير المسلمين قيمة العقائد فى توجيه سلوك الإنسان، فبدأوا يتحدثون عنها تحت عنوان "أيديولوجيات" ولكنهم ما استطاعوا أن يصلوا إلى المستوى الذى وصل إليه الإسلام، إذ هو يبنى فى الفرد المسلم إيماناً لا يضارعه ولا يشابهه أى عنصر اعتقادى "أيديولوجى" يحاولون غرسه فى نفس الفرد من أفرادهم.

إن الفرق بين العقيدة الإسلامية الصحيحة والعقائد المنحرفة التى عبث بها أيدى البشر - سواء بالوضع أو التحريف - يكمن فى تلك الثمار اليانعة التى تثمرها العقيدة الصحيحة، وتلك الآثار الطبية التى تحدثها فى النفس والسلوك والسمو فى الأخلاق والمعاملة؛ ولأن ظلمة الليل الحالك تنجلي بسطوع ضوء النهار؛ فإننا نرصد بعضاً من آثار العقيدة الإسلامية الصحيحة فى شخصية المسلم، وفى تكوينه، وتفاعلاته فيما يلى:

١ - العقيدة الصحيحة تحرر النفس من سيطرة الغير، وذلك أن الإيمان يقتضى الإقرار بأن الله هو المحيى المميت، الخافض الرافع، الضار النافع، كما فى قوله

تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. فالذى عوق البشرية عن النهوض وحال بينها وبين الرقى هو الخضوع والاستبداد، سواء كان الاستبداد استبدادًا سياسيًا للحكام والرؤساء، أم استبدادًا كهنوتيًا لرجال الدين والكنهوت. وبتقرير الإسلام لهذه الحقيقة، قضى على هذا الأسر، وأطلق حرية الإنسان من سيطرة هؤلاء المستبدين التى لازمته قرونًا طوالاً^(١).

٢- الإيمان يقتضى الاعتقاد بأن الله هو الرزاق، وأن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود: ٦]. وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ اللَّهُ يَكُلِّ شَيْءٌ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

وإذا سيطرت هذه العقيدة على النفس تخلص الإنسان من رذيلة البخل والحرص والشره، والطمع، واتصف بفضيلة الجود والبذل والسخاء والأنفة، وكان إنساناً مأمول الخير والفضائل مأمون الشر والرذائل.

٣- ومن آثار الإيمان العظيمة الطمأنينة: أى طمأنينة القلب، وسكينة النفس، ومصداق ذلك فى قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]. وقوله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤].

وإذا اطمأن القلب، وسكنت النفس، شعر الإنسان ببرد الراحة، وحلاوة اليقين، واحتمل الأحوال، وثبت إزاء الخطوب مهما اشتدت، ورأى أن يد الله ممدودة إليه، وإنه القادر على فتح الأبواب المغلقة، فلا يتسرب إليه الجزع، ولا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلاً.

(١) العقائد الإسلامية، سيد سابق، ٨٤- ٨٥ وما بعدها.

٤ - والإيمان بالله يرفع من قوى الإنسان المعنوية، ويربطه بمثل أعلى، وهو الله جل جلاله - مصدر الخير والبر والكمال. وبهذا يسمو الإنسان عن الماديات، ويرتفع عن الشهوات، ويستكبر على لذائد الدنيا، ويرى أن الخير والسعادة في النزاهة والشرف وتحقيق القيم الصالحة .. ومن ثم يتجه المرء اتجاها تلقائيا خيرا نفسه، ولخير أمته، ولخير الناس جميعا. وهذا هو السر في اقتران العمل الصالح بجميع شعبه وفروعه بالإيمان إذ إنه الأصل الذي تصدر عنه، وتتفرع منه، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ [يونس: ٩]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١]. وإذا اهتدى القلب، فلا يفوته خير لحرصه عليه ولصلاح الأصل المحرك لجوارح الإنسان.

٥ - والحياة الطيبة يعجل الله بها للمؤمنين في الدنيا قبل الآخرة. وتتمثل هذه الحياة في ولاية الله للمؤمن، وهدايته له، ونصره على أعدائه، وحفظه مما يبيت له، وأخذه بيده كلما عثر أو زلت قدمه، فضلا عما يفيضه عليه من متاع مادي، يكون عوناً له على قطع مرحلة الحياة في سر فقد قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۖ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥]. وقال ﷺ: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ [غافر: ٥١]. وقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرَبَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُّؤْتَسٰ لَمَآ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُم إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس: ٩٨].

٢- آثار الإقرار بلا إله إلا الله :

ذكر الداعية أبو الأعلى المودودي^(١) - رحمه الله - تسعة آثار لكلمة التوحيد أذكر ملخصها فيما يلي:

١ - إن المؤمن بهذه الكلمة لا يكون ضيق النظر، بخلاف من يقول بآلهة متعددة أو من يجحدها.

٢ - إن الإيمان بهذه الكلمة ينشئ في النفس من الأنفة والعزة ما لا يقوم دونه شيء؛ لأنه لا نافع إلا الله ولا ضار إلا الله، وهو المحي المميت، وهو صاحب الحكم والسلطة والسيادة، ومن ثم ينزع من القلب كل خوف إلا منه سبحانه، فلا يطأطئ الرأس أمام أحد من الخلق، ولا يتضرع إليه ولا يتكفف له، ولا يرتعب من كبريائه وعظمته؛ لأن الله هو العظيم القادر، وهذا بخلاف المشرك والكافر والملحد .

٣ - ينشأ من الإيمان بهذه الكلمة أنفة النفس وعزتها: تواضع من غير ذل، وترفع من غير كبر فلا يكاد ينفخ أو داجه شيطان الغرور ويزهيه بقوته، لأنه يعلم ويستيقن أن الله الذي وهبه كل ما عنده قادر على سلبه إياه إذا شاء، أما الملحد فإنه يتكبر ويبطر إذا حصلت له نعمة عاجلة.

٤ - المؤمن بهذه الكلمة: يعلم علم اليقين أنه لا سبيل إلى النجاة والفلاح إلا بتزكية النفس والعمل الصالح، أما المشركون والكفار فإنهم يقضون حياتهم على آمالٍ كاذبة، فمنهم من يقول: إن ابن الله قد أصبح كفارة عن ذنوبنا عند أبيه، ومنهم من يقول: نحن أبناء الله وأحباؤه فلن يعذبنا بذنوبنا، ومنهم من يقول: إنا سنشفع عند الله كبرائنا وأتقياءنا، ومنهم من يقدم النذور والقرابين إلى آلهته زاعماً أنه قد نال بذلك رخصة في العمل بما يشاء.

أما الملحد الذي لا يؤمن بالله فيعتقد أنه حر في هذه الدنيا غير مقيد بشرع الله، وإنها إلهه هو وهواه وشهوته هو عبدها.

(١) أبو الأعلى المودودي: مبادئ الإسلام، الناشر مؤسسة الرسالة، سنة ١٣٩٧ هـ، ص ٨٠ - ٨٧ .

٥- قائل هذه الكلمة لا يتسرب إليه اليأس، ولا يقعد به القنوط؛ لأنه يؤمن أن الله له خزائن السماوات والأرض، ومن ثم فهو على طمأنينة وسكينة وأمل حتى ولو طرد وأهين وضاعت عليه سبل العيش .

إن عين الله لا تغفل عنه ولا تسلمه لنفسه، وهو يبذل جهده متوكلاً على الله بخلاف الكفار الذين يعتمدون على قواهم المحدودة، وسرعان ما يدب إليهم اليأس ويساورهم القنوط عند الشدائد مما يقضى بهم أحياناً إلى الانتحار .

٦- الإيمان بهذه الكلمة يربى الفرد على قوة عظيمة من العزم والإقدام والصبر والثبات والتوكل حينما يضطلع بمعالى الأمور ابتغاء مرضاة الله، إنه يشعر أنه وراء قوة مالك السماوات والأرض فيكون ثباته ورسوخه وصلابته التي يستمدّها من هذا التصور، كالجبال الراسية، وأنى للكفر والشرك بمثل هذه القوة والثبات ؟

٧- هذه الكلمة تشجع الإنسان وتملأ قلبه جرأة؛ لأن الذى يجبن الإنسان ويوهن عزمه شيان: حبه للنفس والمال والأهل، أو اعتقاده أن هناك أحداً غير الله يميّت الإنسان، فإيمان المرء بلا إله إلا الله ينزع عن قلبه كلا هذين السببين، فيجعله موقناً أن الله هو المالك الوحيد لنفسه وماله فعندئذ يضحى في سبيل مرضاة ربه بكل غال ورخيص عنده، وينزع الثانى بأن يلقى في روعه أن لا يقدر على سلب الحياة منه إنسان ولا حيوان ولا قنبلة ولا مدفع ولا سيف ولا حجر وإنما يقدر على ذلك الله وحده .

ومن أجل ذلك لا يكون فى الدنيا أشجع ولا أجراً ممن يؤمن بالله، فلا يكاد يخيفه أو يثبت فى وجهه زحف الجيوش، ولا السيوف المسلولة، ولا مطر الرصاصات والقنابل بعكس المشركين والكفار والمنافقين الذين لا يقاتلون إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر .

٨- الإيمان بلا إله إلا الله يرفع الإنسان وينشئ فيه الترفع والقناعة والاستغناء ويظهر قلبه من أوساخ الطمع والشره والحسد والدناءة واللؤم، وغيرها من الصفات القبيحة.

٩- وأهم شيء وأجدره في هذا الصدد، أن الإيمان بلا إله إلا الله، يجعل الإنسان متقيداً بشرع الله ومحافظاً عليه، فإن المؤمن يعتقد بيقين أن الله خير بكل شيء وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأنه كان يستطيع أن يفلت من بطش أى كائن، فإنه لا يستطيع أن يفلت من الله عز وجل.

وعلى قدر ما يكون الإيمان راسخاً في قلب الإنسان، يكون متبعاً لأحكام الله قائماً عند حدوده، لا يجزؤ على اقرار ما حرم الله، ويسارع إلى الخيرات والعمل بما أمر الله .

ومن أجل ذلك جعلت « لا إله إلا الله » أول وأهم ركن ليكون الإنسان مسلماً، والمسلم هو العبد المطيع المنقاد لله تعالى، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مؤمناً من قلبه بأن لا إله إلا الله، وهذا هو أصل الإسلام، ومصدر قوته، وكل ما عداه من معتقدات الإسلام إنما هي مبنية عليه ولا تستمد قوتها إلا منه. والإسلام لا يبقى منه شيء لو زال هذا الأساس ^(١) .

٣- أثر الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين:

« لما كان أصل الموالاتة الحب وأصل المعاداة البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاتة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة وكالجهاد والهجرة ونحو ذلك » ^(٢)، فإن الولاء والبراء من لوازم الإيمان بالله والعمل بمقتضاه، وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسنة .

أما الكتاب فمنه قوله تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً ۚ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

(١) انظر مبادئ الإسلام، ٨٧ .

(٢) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الرسائل المفيدة، ص ٢٩٦ - تصحيح عبد الرحمن الرويشد، طبع سنة ١٣٩٨ هـ، بدار العلوم بمصر.

ويقول ﷺ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [١] قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢]

وقوله تباركت أسماؤه عن أهداف أعداء الله: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]. ويقول جل وعلا: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ حُسْبِهِمْ ۖ وَيُحْيِيَنَّهُ ۖ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۖ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

أما ١ حديث وا ثار فكثيرة نذكر منها:

١- ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ بايعه على أن ينصح لكل مسلم ويبرأ من أى كافر.

٢- وقال ﷺ: « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ».

٣- وروى الطبراني عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله »^(١).

٤- وأخرج ابن جرير ومحمد بن نصر المروزي عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: « من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله، فلإنما ينال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدى على أهله شيئاً »^(٢).

٥- وفي شرح قول ابن عباس رضى الله عنهما جاء ما يلي: (قوله: « ووالى في الله » فيه بيان لازم المحبة في الله، وهو الموالاة فيه، إشارة على أنه لا يكفى في ذلك مجرد الحب، بل لابد مع ذلك في الموالاة التى هى لازم الحب، وهى النصرة والإكرام،

(١) المسند للإمام أحمد، ج٤، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨ هـ، الناشر-المكتب الإسلامى بدمشق، ص ٣٥٧.

(٢) انظر سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، طبعة إدارة البحوث العلمية بالرياض (د.ن)، ص ٤٢٢.

والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً، وقوله: «وعادى في الله» فيه بيان لازم البغض في الله، وهو المعادة فيه، أى إظهار العداوة بالفعل كالجهاد لأعداء الله والبراءة منهم، والبعد عنهم باطناً وظاهراً إشارة إلى أنه لا يكفى مجرد بغض القلب، بل لابد من الإتيان بلازمه، ومصدق ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۚ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبْنَيْهِ لِاسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝﴾ [المتحنة: ٤].

فالولاء لله تعالى هو محبة الله ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم، والبراء بغض أعداء الله ومجاهدتهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشُدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۝﴾ [البقرة: ١٦٥]. ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ۝﴾ [آل عمران: ٣١]. وحب الله تعالى لعبد من عبده فيه علاقة الرحمة والعدل والود، وهذا أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من عرف الله سبحانه وتعالى بصفاته كما وصف نفسه وكما وصفه بها رسول الله ﷺ، وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره.

وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاق حلاوتها، وإذا كان حب الله لعبد من عبده أمراً هائلاً عظيماً وفضلاً غامراً جزيلاً، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه، وتعريفه المذاق الجميل هو إنعام عظيم^(١).

أما البغض في الله فأمر ملازم للحب في الله، لا ينفصل عنه؛ لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالى من يوالى محبوبه، ويعادى من يعاديه، ويرضى لرضاه، ويبغض لبغضه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما نهى عنه، فهو موافق له في ذلك.

فالولاء لله بهذا المعنى يعنى الانقياد التام لأوامره ونواهيه، ومن أمثلة ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبى عبيدة بن الجراح، وأبى دجانة، ومعاذ بن جبل، وسهيل بن بيضاء، حتى مالت رءوسهم من

(١) في ظلال القرآن، جـ ٢، ص ١٩٨ - ٩١٩.

خليط بسر وتمر، فسمعت منادياً ينادى ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فما دخل علينا داخل، ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب، وكسرنا القلال، فإذا برسول الله ﷺ يقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾، فقال رجل: يا رسول الله فما ترى فيمن مات وهو يشربها، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣]. فقال رجل لأنس بن مالك: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم أو حدثني من لا يكذب. ما كنا نكذب ولا ندرى ما الكذب^(١).

ونجحت توجيهات القرآن، وتربية الرسول فانقادوا للأمر في سر وقناعة تامة وما تكونت عصابات التهريب، وما لجأت الدولة إلى أحكام الإعدام والسجن ومصادرة الأموال ولا إلى مجلات ومحاضرات وصور وسينما... إلخ.

وكذلك فعلن النساء، فعن صفية بنت شيبة قالت: بينما نحن عند عائشة قالت: فذكرنا نساء قريش وفضلهن. فقالت عائشة: إن لنساء قريش لفضلاً، وإنى والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل لما نزلت سورة النور ﴿وَلَيَضْرِبَنَّ يَحْمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ انقلبت رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم منها، يتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته، فما فيهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله، فأصبحن وراء رسول الله - كأن على رءوسهن الغربان^(٢).

أما الولاء لرسول الله ﷺ، فيكون في متابعته فعلاً قولاً وتقريباً والانصياع لأمره كائناً ما كان أمره أو نهي، والنزول لحكمه؛ لأن طاعته ﷺ من طاعة الله سبحانه وتعالى وولائه: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

(١) تفسير القرآن الكريم، ج-٢، ص ص ٩٢-٩٣.

(٢) المصدر السابق، ج-٣، ص ٢٨٤.

وقد التزم الرعيل الأول من سلف هذه الأمة، بكل أمر أتاهم الرسول ﷺ به فكانوا يمثلون النموذج الصادق الحى للالتزام، فمن ذلك أن اليهود لعنهم الله، حاولوا الواقعة بين أصحاب رسول الله ﷺ، فقد جمع الأوس والخزرج مجلس واحد يتحدثون فغاض أحد اليهود ما رآه من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد ذلك الذى كان بينهم من العداوة والجاهلية، فأمر هذا اليهودى شاباً يهودياً، فقال له: اعمد إليهم، فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما تناولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعث اقتتل فيه الأوس والخزرج، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا، وتفاخروا حتى تواب رجلاً من الحيين على الركب، وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: موعدكم الظاهرة^(١): السلاح .. السلاح. وخرجوا إليها، فبلغ رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين: الله، الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عندكم أمر الجاهلية، واستنقذكُم به من الكفر، وألف بين قلوبكم فبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً^(٢)، فأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

فهذه الواقعة تدلنا أن محبة الرسول ﷺ تقتضى بالتبعية اتباع سنته ﷺ واتباع شريعته باطناً وظاهراً والامثال بكل أمر ونهى يصدر منه ﷺ .

أما الولاء للمؤمنين، فيكون على مقتضى الآية التالية: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. أى إنهم يعاملون المؤمنين بالذلة واللين وخفض الجناح، ويعاملون الكافرين بالعزة والشدة عليهم، والغلظة عليهم، فهم يحبون من أحبه الله

(١) الظاهرة: الحرة - حرة المدينة .

(٢) السيرة النبوية الجزء الثانى، ص ١٩٢ .

فيعاملونه بالمحبة والرأفة واللين، ويغضون أعداء الله الذين يعادونه فيعاملونهم بالشدة والغلظة كما في قوله تعالى: ﴿ أَشَدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن هنا فإن مقتضيات الولاء والبراء: حق المسلم على المسلم، وحقوق المسلم على المسلم كثيرة جداً: النصرة والمودة والزيارة والإكرام والسلام وحماية العرض والمواساة، وغير ذلك مما هو منصوص في الكتاب والسنة ومن هذه الحقوق: (أ) المودة: وهذه للمؤمنين من بعضهم البعض فليس للكافر، ولا الفاسق ولا مبتدع فيها نصيب . ومن هذه المودة حب المسلم أخيه المسلم ما يجب لنفسه كما قال ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »^(١).

(ب) النصرة : وهذا واجب أخوى إيماني على كل مسلم لأخيه المسلم من أى جنس كان وفي أى أرض حل، وبأى لون كان، ينصره بنفسه، وبماله، عن عرضه، ولذلك ورد التهديد لمن يترك ذلك وهو قادر عليه، قال ﷺ: « ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موضع حرمة وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه ويتتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب نصرته »^(٢).

وقد امتدح الله سبحانه وتعالى الأنصار رضوان الله عليهم في نصرتهم لإخوانهم المهاجرين فقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٧٤].

ومن الأوامر النبوية في شأن النصرة في قوله ﷺ: « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً »^(٣)، ونصرته إذا كان مظلوماً ظاهرة، أما نصرته إذا كان ظالماً فبرده عن الظلم ومنعه، وقال ﷺ: « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة

(١) رواه البخارى في صحيحه، ج ١، ص ٥٧ كتاب الإيمان .

(٢) سنن أبى داود ج ٥ / ١٩٧، والمسنود ج ٤ / ٣٠ .

(٣) رواه البخارى في صحيحه، ج ٥ / ٩٨ ، كتاب الظالم .

أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^(١).

والمسلم داخل المجتمع ما هو إلا عضو عامل من أعضاء الجسد، فإذا حصل لهذا العضو مرض أو اختل عمله تأثر لذلك بقية الجسد، ويصور ذلك المصطفى ﷺ في قوله الكريم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٢)، وقوله ﷺ: «المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويجوزه من ورائه»^(٣).

ولقد كان التحام المسلمين ونصرة كل منهم لأخيه امتثالاً فريداً في تاريخ التلاحم والتواصل والتناصر سواء على مستوى الأمة أم الأفراد؛ حيث حققوا الموالاة والمعاداة على أوضح وأدق صورها.

ولن ينتصر المسلمون ولن تكون لهم شوكة إلا إذا تحقق فيهم - بعد صفاء العقيدة ووضوحها - حب المسلم لأخيه كحبه لنفسه، وشعوره بالآلام أخيه كشعوره بما يصيبه هو، وحب نصرته كما يحب أن ينصره هو: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وتحقق النصر بعدة أمور منها: الدفاع بالنفس عن الأخ، وكسر شوكة الظالمين وبذل المال له لإعرازه وتقوية جانبه، عن عرضه وسمعته، والرد على أهل الباطل والظالمين الذين يريدون خدش كرامة المسلمين، والدعاء للمسلم بظهر الغيب بالنصر والتوفيق وتسديد الخطى وتتبع أخبار المسلمين في أنحاء المعمورة، والوقوف على أحوالهم ودعمهم بقدر الاستطاعة.

كل هذه الأمور تحقق ولاءه لإخوانه المسلمين وتجعله عضواً عاملاً صالحاً في جسم الكيان الإسلامى.

(١) رواه البخارى فى صحيحه، ج ٥ / ٩٨ ، كتاب الظالم.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه، ج ١٠ / ٤٥٠ ، كتاب الأدب .

(٣) رواه البخارى فى الأدب المفرد، ص ٧٠ .

المبحث الثانى

أثر الإيمان فى جانب العبادة وذكر الله وتلاوة القرآن الكريم

١- الإيمان والصلاة:

حين يؤمن المسلم بربه فلا بد من صله بينهما؛ تربط المخلوق بخالقه وتملأ قلبه بالطمأنينة، واليقين، فيحس بأنه ليس وحده فى هذه الدنيا، بل إن معه واهب القوة والقدرة، وقيوم السماوات والأرض ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والمسلم يعبد ربه ويتقرب إليه بمنهج دقيق، ولا تطغى فيه الدنيا على الآخرة، ولا يغيب فيه عن الدنيا، وذلك من إعجاز الإسلام، وصدق نظرتة للحياة.

والصلاة هى الوسيلة المثلثى التى فرضها الإسلام، ليتصل المخلوق بخالقه خمس مرات فى كل يوم وليلة، فيشعر برقابته عليه، ويجدد معه العهد ويستمد منه العون، ويؤكد له الإنابة والخضوع: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد بين القرآن أن الصلاة صفة من صفات المؤمنين، وسمة لا بد منها فى شخصية المسلم.

فالمؤمنون هم: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣]. وهم: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الحج: ٤١].

وقد أمر الله المؤمنين جميعاً بإقامة الصلاة والحرص عليها: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣١].

بل إن القرآن قد حث الرسول ﷺ على إقامة الصلاة والصبر عليها، وإلزام أهله بها. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّكَرِ﴾ [هود: ١١٤].

﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

فهل يجد المسلم مناصًا من إقامة الصلاة أو عذرًا في إضاعتها؟! والمسلم يعلم أن الصلاة ليست مجرد أقوال وأفعال تؤدي بلا وعى ولا تدبر، بل إن لها هدفًا لا بد أن يدركه المصلى حتى يستفيد من الصلاة، ويصل إلى الغاية منها، وحتى تنتقل إلى عالم الشعور وتصبح منهجًا من مناهج التربية.

فالقرآن يبين أن الصلاة التي تؤدي على وجهها الصحيح، من سلامة الأركان، ومن خشوع القلب، ومن التدبر فيها يناجى به المصلى ربه، لا بد أن يصل بصاحبها إلى كرم الخلق، وطهارة النفس، فينتهى عن المعصية ويتعدى عن الفساد، وينشأ في نفسه وازع يربطه بالحق، ويتعدى به عن الباطل.

يقول الله سبحانه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

إن الصلاة في حقيقتها وسيلة من وسائل التربية الإسلامية التي تغرس في قلب المسلم حقيقة الإيمان، وتؤسس فيه الشعور الصادق برقابة الله عليه، وتعوده على طاعة أمره، وامتنال حكمه، والمبادرة إلى فرائضه.

والمسلم يكتسب منها ثبات العقيدة وطمأنينة القلب، والقوة في مواجهة أحداث الحياة.

فالإنسان بطبعه يجزع حين يمسسه البأس، فينهزم ويغشاه اليأس، وتغمره الكآبة، كما أنه بطبعه يتبطر ويفخر إذا مسه الخير، وأحاطت به النعماء فيطغى، وينسى حق الضعفاء.

ولكن المسلم الذي يقيم الصلاة على حقيقتها، ويتدبر معانيها، ويكتسب من صلاته سلامة القلب، وثبات المشاعر، فلا يتقلب إحساسه مع تقلب الأيام بين الخير والشر.

بل يقابل الشدائد بوجه باسم وقلب مطمئن، يعلم أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذى يغير ويبدل، وأن قدرته على الحياة بعلمه وحكمه، كما يعرف حق الله والعباد عليه حتى يأتيه الخير وتغمره النعم .

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۚ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۚ ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٣].

إنها وسيلة مهمة يستعين بها المسلم في مواجهة المصاعب، وعلى الصبر والثبات في كفاحه في دنياه، فيستمد من ربه العون، ويستلهم الثقة والطمأنينة.

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥].

وهي كذلك تطهر المسلم من الخطايا والهفوات التي لا يتحرز منها بشر، فيظل دائماً طاهر القلب برىء المشاعر حتى الضمير .

وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا»^(١).

فالصلاة سمة من سمات المسلم، ومدرسة دائمة لا يزال يتعلم منها حقائق الإيمان ويصل بها إلى أعلى درجات اليقين، فهي ميزان إسلامه وطريق نجاته .

كما يقول رسول الله ﷺ: «ومن يحافظ عليهن - أى الصلوات الخمس - عاش بخير، ومات بخير - وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه»^(٢).

والحق، أن الصلاة لا تكلف المسلم إلا لحظات قليلة من وقته، في فترات متباعدة في اليوم واللييلة، فإن لم يحرص عليها المسلم مع سهولة تكاليفها، ويسر القيام بها، فلن يحرص على ما سواها من واجبات الإسلام وفرائضه؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «يا معاذ إن أهم أمرك عندى الصلاة». وكان عمر بن الخطاب

(١) رواه الخمسة إلا أبا داود .

(٢) رواه أبو داود .

رضوان الله عليه يقول لحكام الأمصار: "إن أهم أموركم عندى الصلاة، فمن حافظ عليها وحفظها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة".

فالحفاظ على أداء الصلاة ورعايتها مقياس لصدق الإيمان يثمر ثمرته، ويعمل عمله، فى تثبيت العقيدة، وتوجيه السلوك .

والعجيب أن بعض الناس - فى عصرنا - يهونون من شأن الصلاة والعبادة عامة، ويزعمون أن لا نفع لها فى الحياة، ولا أثر لها فى تقويم السلوك، ناظرين فى ذلك إلى الذين يراعون فى العبادة فلا يرفعون بها رأساً، ولا يصلحون عملاً، وليست هذه حجة يقنع بها العقل، أو يستقيم بها المنطق، فإن القرآن قد نهى المصلين عن الغفلة عن معانى الصلاة وحذرهم من الجهل بحقائقها، ونسيان دروسها حتى لا يصيبهم عقاب الغافلين: ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ [الماعون: ٤-٧].

فليس الانحراف عن الحق حجة فى تركه، ولا شذوذ البعض داعياً لأن يعم الشذوذ . وليست أعمال الجاهلين حجة على هذا الدين .

أما المسلم الحق، فإنه يعرف طريق الرشاد ويتخذ إلى ربه سبيلاً، ويجعل من الصلاة معراجاً يرتقى به إلى آفاق الكمال، ويتطهر به من الأرجاس، والأدناس وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة، وذلك الدهر كله»^(١) .

٢- الإيمان وذكر الله عز وجل:

﴿ يَتْلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٥١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣]

(١) رواه مسلم .

إن إيمان المسلم، وصدق يقينه، يجعله يذكر ربه في كل وقت، ويراه في كل شيء .. في مشاهد الطبيعة، وفي أحداث الحياة، فيأنس به، ويثق في قدراته، ويأوى إلى ظلال فضله ورحمته. ومثله الأعلى في ذلك النبي الكريم الذي: « كان يذكر الله على كل أحيانه »^(١).

ولست حقيقة الذكر باللسان، بل لابد أن ينشأ أولاً في الشعور والوجدان ثم يفيض على اللسان، مناجاة وحمداً، وتسبيحاً وتزييهاً، فحينئذ يكون المسلم من الذاكرين حقاً الذين أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً.

والمسلم الذي يذكر ربه؛ يذكره ربه، كما يقول الله عز وجل في حديث قدسي: « أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه »^(٢).

فما أعظم هذا الذي يذكر ربه، ويرعاه .

والمسلم الذي يذكر ربه يناجيه بقلبه، ويملاً فؤاده بحبه، ويستضيء بنوره، ولهذا فإن الذكر حياة للقلب ونور، والغفلة عنه موت وظلام؛ لأن الذي يغفل عن ربه ينسى حقيقة الوجود، ويجهل سر الحياة.

وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحى والميت »^(٣)، وهو تصوير صادق لما ينشئه ذكر الله سبحانه في نفس المسلم من قوة وحياة، وما يمدّه من زاد، وما يفتحه أمامه من آفاق الإيمان والعمل.

ولهذا لا ينبغي للمسلم أن ينسى ربه أو يغفل عنه، وإلا فماذا يذكر إن نسى ربه؟، وبماذا يشتغل إن غفل عنه؟

إنه يعلم أن لا شيء يشغل الإنسان عن ربه إلا الباطل، واللهو، والضلال، والانحراف. ﴿ وَلَا تَطْغَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الشيخان .

(٣) رواه البخارى .

وذكر الله سبحانه وتعالى سمة المسلم فردًا أو جماعة، فإذا اجتمع قوم فغفلوا عن ذكر ربهم، وشغلوا بالباطل واللغو، فإنهم يكتسبون إثماً، ويستوجبون عقاباً، كما يقول صلوات الله عليه وسلامه: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة - أى حسرة ونقص - فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم»^(١). وهذا دليل على تأكيد الذكر، وضرورته لصدق الإيمان، وتهذيب السلوك.

والدعاء ذكر، بل إن الدعاء هو العبادة، كما قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»^(٢)، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]^(٣).

فما أعظم أن يقف العبد يسأل ربه ويلجأ إليه ويتطلع إلى خزائن نعمته، إنه يعرف أن الله وحده هو الذى يملك الاستجابة، ويملك العطاء.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

إن الدعاء يوقف الإنسان أمام ربه، ويشعره بقربه منه، وإحاطته بشأنه، ولهذا فهو أفضل العبادة والذكر.

يقول الرسول ﷺ: «ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء»^(٤).

إن مقاليد الأمور بيد الله وحده، فلماذا لا يهرع إليه العباد طالين راغبين، وهو - سبحانه وتعالى - لا يرد أحداً، ولا يخيب سائلاً؟

يقول رسول الله صلوات الله عليه: «سلوا الله من فضله، فإن الله يستجيب له»^(٥). يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج^(٥).

والاستغفار فى حقيقته ذكر، فالمستغفر قد عرف أن له رباً يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، فجاء يطلب الصفح، ويقدم الإنابة، ويعاهده على أن لا يعود.

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه الترمذى وأبو داود .

(٣) داخرين : أذلاء منقادين .

(٤) رواه الترمذى وأحمد والحاكم .

(٥) رواه الترمذى .

ولهذا فإن ربه يتوب عليه، ويغفر له، ويتجاوز عن أخطائه، كما يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥ - ١٣٦].

وقد كان رسول الله صلوات الله عليه يعلم المسلمين كيف يستغفرون ربهم، وكيف يقفون ببابه خاشعين: «فكان يستغفر الله، ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(١)، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ! .

إن الله سبحانه وتعالى يدعو عباده أن يسألوه العفو، ويطلبوا منه المغفرة، وتلك غاية الرحمة، والفضل، والإحسان. يقول عز وجل في حديث قدسى: «يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفرونى أغفر لكم»^(٢).

على ذلك تقوم صلة المسلم بربه؛ يذكره بالقول والعمل، وبالشعور والوجدان، ويدعوه في كل وقت، ويفزع إليه إن أحاطت به المكاره، وأحدثت به المشكلات، ويستغفره إن زل وأخطأ، فيحظى بالمغفرة، وينال الرضوان، فما أقدمها من صلة، وما أكرمها من علاقة عبد ومولاه .

٣- الإيمان وتلاوة القرآن :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [غافر: ٢٩ - ٣٠]

إن المسلم يعلم أن كتاب الله ﷻ هو روح الهداية في هذه الدنيا، وهو نقطة التحول في تاريخ البشرية، فلا بد أن يكون وثيق الصلة به، يعيش معه ولا يسأم من ترديد النظر فيه، فهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم .

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مسلم .

والقرآن كتاب الله الكريم، الذى أنزله على محمد صلوات الله وسلامه عليه
رحمة للعالمين، وهداية للناس أجمعين.

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١].

وقد جمع الله فيه من أصول الخير، ومناهج الهدى، ما يصلح الحياة، ويرسى في
الأرض دعائم الطمأنينة والسلام:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

والمسلم يعلم أن للقرآن مهمة يؤديها للفرد والمجتمع، فهو يرشد إلى نظام كامل،
ومنهج للحياة فريد، وهو علاج حقيقى لأمراض الإنسان، ومشكلاته، واستجابة
صادقة لنوازعه وحاجاته الأصلية، فلا يعلم الإنسان، ولا يرسم طريقه المستقيم إلا
من خلقه وهداه: ﴿ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۚ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ
إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وهو دستور الإسلام وأساسه الأول، الذى يجمع أحكامه ويبين عقائده ويحدد
شريعته، ويوجه إلى آدابه وفضائله. فما أعظمه من كتاب ! وما أعظم أثره فى حياة الفرد
والمجتمع على السواء ؟

ولهذا كانت تلاوة القرآن وتدبر معانيه، عبادة مفروضة على كل مسلم بقدر
محدد فى كل صلاة، حتى لا ينقطع المسلم عن مورد الهداية، ولا يعزب عن مصدر
الإيمان. وباب التطوع بعد ذلك مفتوح بلا حد لمن شاء أن يستزيد .

وقد رغبت آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ فى تلاوة القرآن
والاهتداء بهداه. يقول رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن واستظهره؛ فأحل حلاله وحرم
حرامه، أدخله الله الجنة، وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم وجبت له النار»^(١).

(١) رواه الترمذى .

وهو يعلم أن إيمانه لا ينضج، ونفسه لا تزهر وروحه لا تضيء إلا إذا كان صاحب القرآن يتلوه ويتفهمه فحينئذ تفوح منه رائحة الإيمان، وتتضح آداب القرآن في قوله وعمله، وتبدو ثمرات القرآن في نهجه وسلوكه.

إنه حينئذ طيب الظاهر والباطن، كما يقول رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو»^(١).

وليست تلاوة القرآن مجرد عبادة لا ثمرة لها في الحياة، بل إن توجيه القرآن للمسلم في شئون الحياة وتصويره لحقائق الصلة بين العباد. كل ذلك في سعيه، فلا يعيش على هامش الدنيا، ولا يسير معصوب العينين ضالاً عن الهدى، بل يحيا مؤثراً في الحياة، مصلحاً في المجتمع، لا يعرف الذلة، ولا يألف الهوان .. !! .

ومن هنا كان تعلم القرآن في ذاته ربها يفضل كل ربح مادي، وكسبا لا يعادله كسب، فهو علم يهدي إلى العمل، ويوجه إلى أقوم طريق .

وقد بين الرسول ﷺ أن تعلم القرآن يعود على المسلم بثمرات تفضل كل عرض من أعراض الدنيا، فقال لأصحابه: «فلأن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله ﷻ خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»^(٢).

ومن هنا فلا ينبغي للمسلم أن يتهاون في صلته بالقرآن فينساه أو يهجره، فالقرآن هو الدستور الذي يجمع حقائق الإسلام فإذا انقطعت صلة المسلم به، فإن نبع الإيمان يجف في نفسه، فتدوى نضارته، ويذهب بهاؤه. ولهذا قال الرسول ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»^(٣).

ونسيان القرآن إثم عظيم، لا ينبغي أن يقع مسلم فيه، وفي ذلك يقول الرسول صلوات الله عليه: «عرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيتها رجل ثم نسيها»^(٤).

(١) رواه الخمسة .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذی .

(٤) رواه الترمذی وأبو داود .

فما أعظم شأن القرآن ! وما أجدره بالعناية والحفاظ !. فكيف يتلو المسلم كتاب ربه حق تلاوته؟.

إنه يعلم أن غاية التلاوة هي اتصال القلب بنور القرآن ووقوف العقل أمام ما تحويه آياته من حق وهدى، فهي عبادة تحتاج إلى قلب سليم، وعقل مستقيم. وليست العبرة بكثرة التلاوة، بل إن العبرة بالتأمل والتدبر واستجلاء منابع الهداية، من آيات القرآن الكريم .

ومن هنا فإن المسلم يتلو القرآن الكريم، خاشع القلب، حاضر القلب، عارفا بقدره، مستحضراً لجلاله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وهو لا يجعل القرآن ألحانا ونغمات لا معنى لها، ولا حقيقة من ورائها، بل ينزهه عن اللغو واللهو .

إن ذلك اللهو إثم عظيم، ينافي جلال القرآن، ويحجب نوره؛ لأن القلب إذا لم يكن مصغيًا إلى هداية القرآن فلا جدوى من تلاوته، كما يقول الرسول ﷺ: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليكم قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه»^(١) .

إنه كتاب الله، ودستور الحياة، لا يتخذه المسلم مهجورًا ولا يلهو بتلاوته ولا يغفل عن حقائقه، كيف وقد كانت تحنو له القلوب، وتعن له الجباه^(٢) ، إلى حد أن كان يبكي عند سماعه رسول الله ﷺ ! .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : «اقرأ علىّ» قلت: أقرأ عليك، وعليك أنزل يا رسول الله؟ قال: «إني أشتهى أن أسمع من غيرى»، قال: فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. قال: «كف أو أمسك، فرأيت عينيه تذرفان» .

(١) رواه الشيخان .

(٢) تعن له الجباه : تخضع له .

المبحث الثالث

أثر الإيمان في تحقيق سعادة المسلم

السعادة هي جنة الأحلام التي ينشدها كل البشر، من الفيلسوف في قمة تفكيره وتجريده، إلى العامى في قاع سذاجته وبساطته، من الملك في قصره المشيد، إلى الصعلوك في كوخه الصغير، ولا نحسب أحدًا يبحث عن الشقاء لنفسه، أو يرضى بتعاسها .

وكثرة المال ليست هي السعادة، ولا العنصر الأول في تحقيقها، بل ربما كانت كثرة المال أحياناً وبالاً على صاحبها في الدنيا قبل الآخرة؛ لذا قال الله في شأن قوم من المنافقين: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [التوبة: ٥٥]، والعذاب هنا هو المشقة، والنصب والألم والهم والسقم، فهو عذاب دنيوى حاصر، على نحو ما ورد في الحديث «السفر قطعة من العذاب» وهذا ما نشاهده بأعيننا في كل من جعل المال والدنيا أكبر همه، ومبلغ علمه، ومنتهى أمله، فهو دائماً معذب النفس، متعب القلب، مثقل الروح، لا يغنيه قليل، ولا يشبعه كثير. وفي الحديث الذى رواه أنس عن النبى ﷺ تصوير لهذه النفسية المعذبة فقال: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راعمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له»^(١).

ومن أبلغ العذاب في الدنيا - كما قال ابن القيم^(٢) - تشتيت الشمل وتفريق القلب، وكون الفقر نصب عينيه لا يفارقه ولو سكر عشاق الدنيا بحبها، لاستغاثوا من هذا العذاب؛ على أن أكثرهم لا يزال يشكو ويصرخ منه، ومن أنواع العذاب،

(١) رواه الترمذى من حديث أنس، وروى ابن ماجه وغيره قريباً منه من حديث زيد بن ثابت .

(٢) ابن القيم "إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان"، مكتبة السنة المحمدية، ص ٢٦ .

عذاب القلب والبدن بتحمل أنكاد الدنيا ومحاربة أهلها إياه، ومناسبة معاداتهم، كما قال بعض السلف: "من أحب الدنيا فليوطن نفسه على تحمل المصائب" ومحب الدنيا لا ينفك عن ثلاث: هم لازم، وتعب دائم، وحسرة لا تنقضي، وذلك أن محبتها لا ينال منها شيئاً إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه كما في الحديث: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا ابتغى لهما ثالثاً». وقد مثل عيسى ابن مريم عليه السلام محب الدنيا بشارب الخمر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً.

ولا تتحقق السعادة في الأولاد :

حقيقة إن الأولاد زهرة الحياة، وزينة الدنيا، ولكن كم من أولاد جروا على آبائهم الويل، وجزوهم بالعقوق والكفران بدل البر والإحسان، بل كم من آباء ذاقوا حتفهم على يد أولادهم طعماً في ثرواتهم، أو لوقوفهم في سبيل شهواتهم. لقد وجدنا من الآباء من يقول لولده أسفا :

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً	تعل بما أسدى إليه وتنهل
إذ ليلة نابتك بالشجو لم أبت	لشكواك إلا ساهراً أتململ
فلما بلغت السن والغاية التي	إليها مدى ما كنت فيك أو مل
جعلت جزائي غلظة وفضاظة	كأنك أنت المنعم المتفضل

وكم رأينا في الحياة صوراً غريبة، وسمعنا أحاديث أغرب عن عقوق الأبناء وتعاسة الآباء، وهذا ما جعل الآباء ما برحوا على مر العصور، ينشدون شعرهم حنقا من جحود أبنائهم .

السعادة الحقّة في داخل الإنسان :

السعادة إذاً ليست في وفرة المال، ولا سطوة الجاه ولا كثرة الولد، ولا نيل المنفعة ولا العلم المادى.

السعادة شيء معنوى لا يرى بالعين ولا يقاس بالكم، ولا تحتويه الخزائن، ولا يشتري بالدينار، أو الجنيه أو الروبل أو الدولار. السعادة شيء يشعر به الإنسان

بين جوانحه .. صفاء نفس وطمأنينة قلب، وانسراح صدر، وراحة ضمير. السعادة شيء ينبع من داخل الإنسان ولا يستورد من خارجه .

حدثوا أن زوجًا غاضبًا قال لزوجته متوعدًا: لأشقيك. فقالت الزوجة في هدوء: لا تستطيع أن تشقيني، كما لا تملك أن تسعدني .

فقال الزوج في حق : وكيف لا أستطيع؟

فقالت الزوجة في ثقة: لو كانت السعادة في راتب لقطعته عنى، أو زينة من الحلى والحلل لحرمتنى منها، ولكنها في شيء لا تملكه أنت ولا الناس أجمعون !

فقال الزوج في دهشة : وما هو ؟

فقالت الزوجة في يقين: إنى أجد سعادتى فى إيمانى، وإيمانى فى قلبى، وقلبى لا سلطان لأحد عليه غير ربى !.

هذه هى السعادة الحقّة، السعادة لا يملك بشر أن يعطيها، ولا يملك أن ينتزعها ممن أوتيها، السعادة التى شعر بنشوتها أحد المؤمنين الصالحين فقال: إننا نعيش فى سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف .

وقال آخر وهو ثمل بتلك اللذة الروحية التى تغمر جوانبه: إنه لتمر على ساعات أقول فيها: لو كان أهل الجنة فى مثل ما أنا فيه الآن لكانوا إذاً فى عيش طيب ! والذين رزقوا هذه النعمة يسخرون من الأحداث وإن برقت ورعدت، ويتسمون للحياة وإن هى كشرت عن نابها، ويفلسفون الألم، فإذا هو يستحيل عندهم إلى نعمة تستحق الشكر، على حين هو عند غيرهم مصيبة تستوجب الصراخ والشكوى، كأنها عندهم غدد روحية خاصة، مهمتها أن تفرز مادة معينة تتحول بها كوارث الحياة إلى نعم .

وهناك القدر المادى اللازم لتحقيق السعادة ولا نجحد أن للجانب المادى مكانًا فى تحقيق السعادة، كيف وقد قال رسول الإسلام: «من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح»^(١) .

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح من حديث سعد بن أبى وقاص .

بيد أنه ليس المكان الأول ولا الأفسح، والمدار فيه على الكيف لا على الكم، فحسب الإنسان أن يسلم من المنغصات المادية التي يضيق بها الصدر، مثل : المرأة السوء، والمسكن السوء، وأن يمنح الأمن والعافية، ويسر له القوت في غير حرج، ولا إعنات. وما أصدق وأروع الحديث النبوى «من أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»^(١) .

وإذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس البشرية، والقلب الإنسانى، فإن الإيمان بالله وبالدار الآخرة هو ماؤها وغذاؤها، وهوؤها وضياؤها .

لقد فجر الإيمان في قلب الإنسان ينابيع للسعادة، لا يمكن أن تغيض، ولا أن تتحقق السعادة بغيرها، تلك هى ينابيع السكينة، والأمن، والأمل، والرضى، والحب، وسيأتى تفصيل ذلك فى المباحث الأخيرة من هذا الفصل بحوله تعالى .

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد والترمذى وقال: حسن غريب، وابن ماجه .

المبحث الرابع

الإيمان وحب المسلم لربه والناس

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

صلة المسلم بربه تقوم على الحب والرجاء والخشية. فالمسلم تفيض نفسه بعاطفة الحب نحو خالقه؛ لأنه واهب الحياة، ومفيض النعم، وصاحب الفضل والإحسان، الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى .

وإذا كان فى طبيعة الإنسان مقابلة الإحسان بمثله، فكيف لا تمتلئ قلوب المؤمنين بحب الله الذى لا تحصى نعمه، ولا تنفد عطاياه؟ ... فإن الحياة بها فيها نعمة من الله .

﴿ وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرُّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُؤُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

ومن هنا تنشأ بين المسلم وربه صلة من الحب لا تنقطع .. ومن هذه الصلة تنمو فى نفس المسلم مشاعر كريمة تسمو به إلى آفاق الكمال، وتذيقه ألوانا من الأمن والاطمئنان، والثقة واليقين، وتدفعه إلى إدامة الطاعة وإحسان العبادة . حتى يذوق حلاوة الإيمان التى يشير إليها الرسول ﷺ بقوله: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار»^(١) .

وحب المسلم لربه يملك عليه كل جوارحه ويسيطر على فؤاده فلا يترك فى قلبه فراغا لسواه، ولا يحب شيئا قدر حبه لله، وذلك دليل إيمانه، وبرهان يقينه، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(١) رواه البخارى .

ولهذا الحب آثاره الملموسة، ودلائله الواضحة، في عمل المسلم وجهاده. فهو ينشط للبذل، ويخف للتضحية، حينما يكون ذلك في سبيل الله، وابتغاء رضاه، فلا يبخل، ولا يجبن إيثاراً لمال، أو إشفاقاً على ولد، أو رغبة في الحياة. بل يقدم نفسه وما يملك، ويبذل جهده وما يستطيع في سبيل نصره العقيدة، وحماية الحق، والدفاع عن الحرمات .. وذلك دليل صادق على حبه وإيثاره لرضاه. فإن أخلد إلى نوازع الجبن والبخل، أو استجاب لمشاعر الضعف والتردد، أو أثر روابط الدنيا على دعوة الله، فقد خمدت فيه حماسة الإيمان، وهمدت شعلة اليقين، وهو حينئذ منحرف عن سبيل ربه، متعرض لسخطه وعقابه.

كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

وكما يجب المسلم ربه بإحسانه وفضله، ورعايته وهداه .. فإن ربه يجب لإيمانه وإخلاصه واستقامته وتقواه.

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ ﴾ [المائدة: ٥٤].

فما أجل ذلك وأقدس! وما أعظمه في النفس التي تسعى إلى الكمال؟! ولقد بين الله لعباده أنه يجب المتقين الصالحين، ذوى الإيمان الراسخ والفضائل العالية، والخلق الكريم.

فهو يجب أهل العدل، الذين يقومون بالقسط .. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: ٤٢].

وأهل الوفاء والتقوى .. ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦].

كما يجب أهل العفو والإحسان .. ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ويجب المجاهدين الصامدين الصابرين الذين يثبتون في ساحة الكفاح.. ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ويجب المتطهرين المترفعين عن الدنيا: ﴿فِيهِ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

ومن هنا فإن المسلم الصادق يتابع سيره إلى الكمال ليحظى بحب الله، ويفوز برضاه. وعلى أساس هذا الحب المتين يقوم توكل المسلم على ربه حق التوكل.

إن الله - سبحانه وتعالى - هو صاحب القدرة القاهرة، والعلم الواسع، والغنى المطلق.. وهو القادر على النفع والضرر والإعطاء والمنع. فكيف لا يتوكل عليه المسلم، وهو مولاه الذي يهديه ويرعاه.. ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢]. إن التوكل على الله نتيجة طبيعية للإيمان والحب؛ فهو صفة من صفات المؤمنين، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣].

وحين يتوكل المؤمن على ربه فإنه يستند إلى السبب الأقوى والركن المتين، ويستند إلى ذى الحكمة والرحمة والقوة والتدبير وهو سبحانه وتعالى لن يضيع من استند إليه.. ولن يخذل من توكل عليه، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

التوكل على الله هو الذى يمنح القلب الطمأنينة، والثبات فى مواجهة الأحداث، كما يبنى العزيمة، ويقوى الإرادة، ويفتح منافذ الأمل وأبواب الرجاء، وهو قوة إيجابية تدفع إلى الكفاح، وتسد أبواب القلق، وتعصم من الجزع، وتقضى على الحيرة والتردد، فهو خلق من أخلاق البطولة يحتاج إليه المسلم، وهو يخوض معارك الحياة.

وحين جبن بنو إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة مع نبيهم ناداهم رجالان مؤمنان من أهل اليقين والتوكل: أن امضوا إلى الجهاد واثقين متوكلين فذلك سر النصر، وباب الفتح .

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

ولهذا فإن المسلم حين يتوكل على ربه، لا يهمل الأخذ بالأسباب بل يؤدي واجبه ويحتاج لأمره .

وقد وفد أحد الأعراب إلى رسول الله ﷺ وترك ناقته خارج المسجد فقال له رسول الله ﷺ: «اعقلها وتوكل» .

فلا تنافى بين العمل والحرص على ما ينفع، وبين سكون القلب إلى الحق ورجائه ما عند الله .

ومع الحب والتوكل، فإن المسلم يخشى ربه ويخاف عقابه، كما يرجو رحمته وثوابه. وخشية المسلم لربه هي خوفه من الوقوع فيما يسخطه، وعزمه الصادق أن لا يجاوز حدوده ولا يتنهنك حرمانه، فهي شعور، وعمل، ونية، وسلوك .

وهي بهذا أصل من أصول التربية الإسلامية التى تنشئ الوازع الخلقى فى نفس المسلم، وتعصمه من الانحراف والطغيان، فالمسلم يخشى ربه فى كل مكان، وفى كل وقت وحال. كما قال رسول الله ﷺ: « اتق الله حيثما كنت .. »^(١) .

وقد وعد الله من يخشاه بعظيم الأجر، وكريم المنزلة؛ لأن الخشية دليل صدق الإيمان، وثبات اليقين، واستحضار القلب لعظمة الرب سبحانه .. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك: ١٢].

(١) رواه الترمذى .

والله سبحانه وتعالى هو المستحق للخشية، وإذا كان الناس يخافون القوى المسيطرة في الأرض، ويرهبون ذوى البأس والسلطان، فإن المسلم لا يخشى إلا الله؛ لأن قوته فوق كل قوة، وإرادته فوق كل إرادة .. وكل ما في الأرض فهو تحت قدرته، وفي قبضته .. ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٠].

ومن هنا يعيش المسلم عزيزاً لا يذل، قوياً لا يضعف، يهاب ربه ويخشاه، ولا يذل لأحد سواه. فيصبح قوة في الوجود لها دورها بين نواميس الكون، وسنن الحياة.

بهذه العاطفة الصادقة النابعة من الفطرة القريبة من الوجدان، يمتلئ القلب المسلم .. بالحب، والخشية، والرجاء. فهي تحدد صلة المسلم بربه وتوجه زمامها. فلا يبقى في القلب شيء غيره، ولا يتجه المسلم إلا إلى طريقه، ولا ينحرف إلى غاية سواه.

المبحث الخامس

أثر الإيمان في تحقيق الرضا لدى المسلم

قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل بقسطه جعل الفرح والروح في الرضى واليقين، وجعل الغم والحزن في السخط والشك»^(١).

هذا الحديث الشريف كشف عن حقيقة نفسية باهرة، فكما أن سنة الله قد ربطت الشبع والرى بالطعام والشراب في عالم المادة، فإن سنته تعالى في عالم النفس والروح قد ربطت الفرح والروح - وبعبارة أخرى السرور وراحة النفس - بالرضى واليقين، فيرضى الإنسان عن نفسه وربه فيطمئن إلى يومه وحاضره، وييقينه بالله والآخرة والجزاء يطمئن إلى غده ومستقبله. ومن غير المؤمن في رضاه عن يومه، ويقينه بغده؟ كما ربطت سنة الله تعالى الغم والحزن بالسخط والشك.

فالساخطون والشاكون لا يذوقون للسرور طعمًا، إن حياتهم كلها سواد ممتد، وظلام متصل، وليل حالك لا يعقبه نهار ولا يرتقب له فجر صادق. وقد ربط الحديث النبوى الكريم بين السخط والشك وهما متلازمان، فلا سخط من غير شك، ولا شك من غير سخط. قال ابن القيم: قل أن يسلم الساخط من شك يداخل قلبه ويتغلغل فيه، وإن كان لا يشعر به، فلو فتش نفسه غاية التفتيش، لوجد يقينه معلومًا مدخولاً؛ فإن الرضى واليقين أخوان مصطحبان، والشك والسخط قرينان.

الساخط إنسان دائم الحزن، دائم الكآبة، ضيق الصدر، ضيق الحياة، ضيق بالناس، ضيق بنفسه، ضيق بكل شيء، كأن الدنيا - على سعتها - في عينيه سم الخياط.

إن المؤمن قد تصيبه الكآبة، وقد يعتريه الحزن، ولهذا قال الله لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧]. ﴿وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥]. ولكن حزن المؤمن لغيره أكثر من حزنه لنفسه، وإذا حزن لنفسه فلا آخرته قبل دنياء. وإذا

(١) رواه أبو داود وغيره.

حزن لدنياء فهو حزن عارض موقوت كغمام الصيف، سرعان ما ينقشع إذا هبت عليه ريح الإيمان. حتى النفوس المنقبضة والطبائع المتشائمة، ينشر الإيمان عليها من ضيائه وإشراقه، فيبدد كثيرًا من ظلامها ويخفف كثيرًا من انقباضها ويطارد أسباب السخط والتشاؤم من وجودها.

أما المرتاب في الله والآخرة، فهو يعيش في مأتم مستمر، ومناحة دائمة لأنه يعيش في سخط دائم، وغضب مستمر، ساخط على الناس، ساخط على نفسه، ساخط على الدهر، ساخط على كل شيء. وقدِيمًا قالوا: من غضب على الدهر طال غضبه؛ ولهذا هو في مأتم مستمر، يبكى دائمًا وينعى نفسه، وينوح على دنياءه، ويولول على وجوده كما وصف بعض المرتابين نفسه فقال: إنه حزين بعاطفته وتفكيره وسلوكه.. حزين بأعصابه وأعصاب الكون والآلهة والناس والأشياء!.. لا يعرف لماذا هو حزين؟!

إن شعور الإنسان بالرضى من أول أسباب السكينة النفسية التي هي سر السعادة. وفي الحديث الصحيح: «من سعادة المرء استخارته ربه، ورضاه بما قضى، ومن شقاء المرء تركه الاستخارة وعدم رضاه بعد القضاء»^(١).

فكل أمره مقدور يكتنفه أمران: الاستخارة قبل وقوعه، والرضى بعد وقوعه، والسعيد من جمع بينهما، وبذلك هو المؤمن، والشقى من حرمهما.

المؤمن يسأل الله قبل إقدامه على أمر من الأمور أن يهديه إلى أرشد الأعمال وأهدى السبل، ومن الأدعية التي علمها لنا الرسول ﷺ: «اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، فيسره لى، وبارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، فاصرفنى عنه»^(٢).

المؤمن هو الذى يحس تلك الحالة النفسية التى تجعله مستريح الفؤاد منشرح الصدر، غير متبرم ولا ضجر، ولا ساخط على نفسه، وعلى الكون والحياة والأحياء،

(١) رواه البزار ومعناه عند أحمد والترمذى .

(٢) رواه البخارى وغيره .

ومنشأ ذلك رضاه عن وجوده الخاص في نفسه، وعن الوجود العام من حوله، ومبعث هذا وذاك رضاه عن مصدر الوجود كله، وينبوع هذا الرضى هو الإيمان بالله رب العالمين.

والرضا مرتبة روحية جزيلة، هيهات أن يصل إليها جاحد بالله، أو شاك فيه، أو مرتاب في جزاء الآخرة، إنما يصل إليها من قوى إيمانه بالله، وحسن اتصاله به، وقد خاطب الله رسوله ﷺ بقوله: ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠]. وامتن عليه بقوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحى: ٥]. وقال النبي ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً»^(١).

وأثنى الله تعالى على المؤمنين بقوله: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [البينة: ٨].
- المؤمن راض عن نفسه وعن ربه:

المؤمن راض عن نفسه، أعنى عن وجوده ومكانه في الكون؛ لأنه يعلم أنه ليس ذرة ضائعة، ولا كما مهملاً، ولا شيئاً تافهاً، بل هو قبس من نور الله، ونفخة من روح الله، وخليفة في أرض الله .

وهو راض عنه ربه؛ لأنه آمن بكماله وجماله، وأيقن بعدله ورحمته، واطمأن إلى علمه وحكمته، أحاط سبحانه بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ووسع كل شيء رحمةً، لم يخلق شيئاً هوأً، ولم يترك شيئاً سدىً، له الملك وله الحمد، نعمه عليه لا تعد، وفضله عليه لا يحد، فما به من نعمة فمن الله، وما نابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه، يردد دائماً هذا الذى رده من قبل أبونا إبراهيم خليل الرحمن ﷺ: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الذى خلقني فهو يهدين] (VA) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي (AL) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي (AT) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (AT) [الشعراء: ٧٧-٨٢].

(١) رواه أحمد ومسلم والترمذى .

والمؤمن - نتيجة لهذا - راض عن الحياة والكون من حوله؛ لأنه يعتقد أن هذا الكون الفسيح صنع الله الذى أتقن كل شىء: ﴿الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]. وكل ذرة فى الأرض أو السماء تدل على حكمة حكيم، وتقدير عزيز عليم، وتدير ملك عظيم، ورعاية رب كريم رحيم.

المؤمن - كما قال الإمام الغزالى^(١) - يصدق تصديقاً يقينياً لا ضعف فيه ولا ريب، أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم، وعلم أعلمهم، وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم، وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منهى لوصفها، ثم زاد مثل عدد جميعهم علماً وحكمة وعقلاً، ثم كشف لهم عن عواقب الأمور، وأطلعهم على أسرار الملكوت، وعرفهم دقائق اللطف، وخفايا العقوبات، حتى اطلعوا به على الخير والشر، والنفع والضرر، ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت، بما أعطوا من العلوم والحكم، لما اقتضى تدبير جميعهم من التعاون والتظاهر عليه: أن يزداد فيما دبر الله سبحانه، ولا أن يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضرر، عمن بلى به، ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع، عمن أنعم الله به عليه، بل كل ما خلقه الله تعالى من السماوات والأرض - إن رجعوا فيها البصر، وطولوا فيها النظر - ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور، وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل، وسرور وحزن، وعجز وقدرة، وإيمان وكفر، وطاعة ومعصية، فكله عدل محض لا جور فيه، وحق صرف لا ظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغى وكما ينبغى وبالقدر الذى ينبغى، وليس فى الإمكان أصلاً أحسن منه، ولا أتم، ولا أكمل، ولو كان ادخره - مع القدرة - ولم يتفضل به لكان بخلاً يناقض الجود، وظلماً يناقض العدل، ولو لم يكن قادراً لكان عجزاً يناقض الإلهية".

فما عرفه المؤمن من حكمة الله فى خلقه، وأسراره فى كونه، فبها ونعمت، وما خفى عليه وكله إلى عالمه، وقال فى تواضع أولى الألباب: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١].

(١) الأحياء ربع المنحيات كتاب التوكل، ص ٢٢٢، ط الحلبي .

إن مما يسخط الناس على أنفسهم وعلى حياتهم، ويحرمهم لذة الرضا، أنهم عدموا الإحساس بما يتمتعون به من نعم غامرة، ربما فقدت قيمتها بإلفها، أو بسهولة الحصول عليها، وهم يقولون دائماً: ينقصنا كذا وكذا، ونريد كذا وكذا، لا يقولون: عندنا كذا وكذا.

المؤمن يشعر بنعمة الله عليه في كل شيء حوله، ويرى في كل ذرة في الأرض أو السماء منحة من الله، تيسر له معيشته، وتعينه على القيام برسالته في الحياة .. إنه يرى نعمة الله في هبة الريح، وسير السحاب، وتفجر الأنهار، وبزوغ الشمس، وطلوع الفجر، وضياء النهار، وظلام الليل، وتسخير الدواب، وإنبات النبات.

ولتقرأ في مثل هذا قوله الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ ﴾ [لقمان: ٢٠]. ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سجدة: ٢٧]. ﴿ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ حَمِيماً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحج: ١٢-١٣]. ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ [يونس: ١٠]. ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾ [يونس: ١١] لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس: ١٢] سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ١٣]. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَكَونَ ﴾ [يونس: ١٤] وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ [يونس: ١٥] وَهُمْ فِيهَا مَتَّعُوا وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس: ١٦]. ﴿ [يس: ٧١-٧٣]. ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [يس: ٧٤] وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ [يس: ٧٥] لِنُخْجِيَ بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِي كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ٤٧-٤٩]. ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ [الفرقان: ٤٥] قُلْ

أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧١﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾ [القصص: ٧١-٧٣]. ﴿ وَالْأَنْعَمَ خَلْقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٧٤﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧٥﴾ وَالْخَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿٧٨﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٩﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿٨١﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٢﴾ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَعْمِدَ بِكُمْ وَأَنْهَرًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنِّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٨٤﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٦﴾] [النحل: ٥-١٨].

ولقد كان سيدنا محمد رسول الله ﷺ أشد الناس إحساسًا بنعمة الله وفضله في كل شئونه؛ ولذا إذا تناول طعامه - وإن كان من خشن الخبز وجاف الشعير - تناول الراضى الشاكر، ويقول في ختام الطعام: «الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين» وإذا شرب الماء القراح قال: « الحمد لله الذى جعله عذبا فراتا برحمته، ولم يجعله ملحا أجابا بذنوبنا » .

- وإذا اكتسى ثوبًا، أو عمامة، أو نحو ذلك قال: «الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة، اللهم إنى أسألك من خيرهِ وخير ما هو له».

- وإذا ركب دابة قال ما علمه الله إياه: «سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون» .

- وإذا استيقظ من نومه قال: « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» .

- وإذا قضى ضرورته البشرية وخرج من الخلاء قال: « الحمد لله الذى أذهب عني الأذى وعافانى» .

- وإذا رأى مبتلى فى جسمه أو حواسه قال: « الحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به كثيرًا من خلقه».

- وإذا تم له أمر على ما كان يبغي ويريد قال: « الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات» .

- وإذا تم له أمر على غير ما كان يبغي ويريد قال: « الحمد لله على كل حال» .

- وإذا استقبل وجه الصباح قال: « اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر، فأتم على نعمتك وعافيتك وسترِكَ فى الدنيا والآخرة، اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر».

- وإذا أظله المساء قال مثل ما فى الصباح .

فهذا هو شعور المؤمن دائماً، شعور الذاكر لنعمة الله، الشاكر لفضل الله ﴿ وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]. ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨].

ولا عجب أن كانت أول آية فى كتاب الله الخالد - بعد البسملة - آية تشعر المؤمنين أبداً بنعمة الله وإحسانه وتوجههم إلى حمده وشكره، تلك هى آية فاتحة

الكتاب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولا غرو أن جعل الإسلام تلاوتها فريضة يومية يكررها المسلم كل يوم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة في صلواته الخمس. المؤمن راض بما قدر الله عليه .

والمؤمن كما يغمره الشعور بنعمة الله عليه كل حين وفي كل حال، لا يفقد هذا الشعور وإن أصابته البأساء والضراء، وهزته زلازل الحياة.

وإنه راض بما قضى الله له، وما قدر عليه، إيماناً بأن الله تعالى لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا يقضى أمراً يريد به عسراً لعباده، وأنه - سبحانه - أرحم بهم من الوالدة بولدها، وأن الخير المطوى في جوف ما نظنه كارثة وشرّاً، وما نكرهه بطبيعتنا البشرية ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَنَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

والمؤمن راض بما قسم الله له من رزق، وما قدر له من مواهب، وما وهب له من حظ؛ لأنه مؤمن بعدل الله فيما قسم من أرزاق، وبحكمته فيما وزع من مواهب، وبفضله ورحمته فيما لعباده من حظوظ، وهذا هو معنى "القناعة" الذى حث عليه الدين، وأشاد به الحكماء والصالحون.

والإسلام يهدى المرء إلى الاعتدال في السعى للغنى، والإجمال في طلب الرزق، وبذلك يضمن التوازن في نفسه وفي حياته، ويمنحه السكينة التى هى سر السعادة، ويجنبه الإفراط والغلو الذى يرهق النفس والبدن معاً، ومن ثم قال ﷺ: «يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»^(١).

ولو ترك الإنسان يستسلم لنزعات حرصه وطمعه، لأصبح خطراً على نفسه وجماعته، فكان لابد من توجيه طموحه إلى قيم أرفع، ومعان أخلد، ورزق أبقى، وتلك هى وظيفة الدين معه: ﴿وَلَا تُمَدَّنْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]. ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

(١) رواه ابن ماجه .

الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنْطَرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾
قُلْ أُوْنِتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ﴿١٥﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].

وظيفة الإيمان هنا أن يجد من سورة الحرص والطمع، وطغيان الشراة والجشع، على النفس البشرية فلا تستبد بها وتجعلها تحيا في قلق دائم، ولا تكتفى بقليل، ولا تشبع من كثير، لا يطفئ غلة ظمئها ما عندها فتمتد عينها إلى ما عند غيرها، ولا يشبعها الحلال فيسيل لعابها إلى الحرام، مثل هذه النفس لا ترضى ولا تستريح، إنها كجهنم - أعاذنا الله منها - تلتهم الملايين في جوفها ثم يقال لها: هل امتلأت؟ وتقول هل من مزيد؟!

وظيفة الإيمان أن يوجه النفوس إلى القيم المعنوية الخالدة، وإلى الدار الآخرة الباقية، وإلى الله الحى الذى لا يموت، ويعلم المؤمن أن الغنى - إن كان ينشد الغنى - ليس فى وفرة المال وكثرة المتاع الأدنى، وإنما هو داخل النفس أولا، وبذلك ورد الحديث: «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس»^(١).

ومن معانى الرضى وثانى ما تعنيه القناعة أن يرضى الإنسان بما وهب الله مما لا يستطيع تغييره، وفى حدود ما قدر له يجب أن يكون نشاطه وطموحه، فلا يعيش متمنياً ما لا يتيسر له، ومتطلعا إلى ما وهب لغيره ولم يوهب له، وذلك كتمنى الشيخ أن يكون له قوة الشباب، وتطلع المرأة الدميمة إلى الحسناء فى غيرة وحسد، ونظرة الشاب القصير إلى الرجل الطويل فى حسرة وتلهف، وطموح البدوى الذى يعيش فى أرض قفراء بطبيعتها إلى رفاهية الحياة وأسباب النعيم، وكما حدث فى عهد الرسول ﷺ حين منى النساء أن يكن هن ما للرجال،

(١) متفق عليه .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ ﴾ [النساء: ٣٢].

وتكون القناعة في حال العسر وضيق الرزق التي تحل بالأفراد، ولا تخلو منها حياة الناس، وفي الأزمات الطارئة التي تحل بالأمم نتيجة حرب أو مجاعة أو نحوها. وفي البلاد والدول التي تقل مواردها الطبيعية فلا توفر الرفاهية لأهلها، ولا يهتدى كثير منهم سبيلا لتنمية رزقه أو للهجرة من بلده - تكون القناعة بما رزق الله هي الدواء الناجع، والبلسم الشافي، وتطلع مثل هؤلاء الذين ذكرنا ليس طموحًا، ولا علو همة، إنه طمع في غير مطمع، وتمن لما لا يكون، وحرص لا ثمرة له إلا الهم والحزن.

هؤلاء في حاجة أن يعلموا ويوقنوا أن السعادة ليست في وفرة أعراض الحياة ولكنها في داخل النفس، وأولى ما يقال لهم ما وجهنا إليه رسول الله ﷺ: «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»، «قد أفلح من هدى للإسلام وكان رزقه كفافا وقع به»، «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى».

المبحث السادس

أثر الإيمان في الصوم عن المعاصي

يرتقى المسلم بإنسانيته إلى ذروة الكمال، ويعلم أن الله عز وجل قد ميزه عن الحيوان، وجعل فيه استعداداً للسمو بروحه والتحرر من أسر الشهوات وعبودية الغرائز.

وهو حين يمتنع بمحض إرادته عن تناول الطعام والشراب وإجابة الشهوات يثبت أن الإيمان صانع العجائب، وأن الإرادة هي الخاصة التي ميز بها الله - سبحانه - الإنسان عن غيره وفضله بها على كثير ممن خلق .

والمسلم يعلم أن الصوم عبادة أصيلة، فرضها الله على أهل الأديان السماوية جميعاً، اختلفت طرائقها، لكن كمال هذه الفريضة، ووضوح حقيقتها كان في الإسلام.

﴿ ... يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤].

وما كان الله ليشعر لعباده ولا أن يفرض عليهم تلك الفريضة إلا لحكمة بالغة وغاية مثلى، وليس لمجرد المشقة والحرمان، وإنما شرع الله الصيام ليصل بالنفس إلى حقيقة التقوى فتسمو عن الدنيا، وترتفع عن ضرورات البشرية، وتتعلم كيف تسيطر على النوازع والغرائز، وكيف تستعصم من نداء الفتنة، وداعية الشهوة .

فليس الهدف من الصيام هو إذلال النفس، أو القسوة عليها، ولكن الغاية منه علاج النفس من أدوائها، فتكتسب إرادة حازمة وعزيمة صادقة، ولا تتهافت على الشهوات، ولا تنهالك على الرغبات واللذائذ، بل تملك الصبر على الحرمان، والقوة في مواجهة الغرائز، وتترقى من ذلك إلى الابتعاد عن الرذائل واجتناب الدنيا، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فالمسلم حين يمتنع طائعاً عن الضرورات التى يحتاج إليها بحكم الغريزة، فإنه لا ريب يمسك عن المحرمات، ويحتب المنكرات، وينشأ فى نفسه الضمير الحى، والوازع الخلقي، الذى يوجهه إلى الخير ويعصمه من نزغات السوء.

والمسلم فى صيامه يثبت قوة نفسه، وعلو قدرها، واستعدادها للقيام بالواجبات، والاضطلاع بعظائم الأمور، كما يثبت قدرته على التغلب على الحاجات والأهواء، واستعصامه من الدنيا والسيئات. فحين ينجح المسلم فى تجربة الصيام فهو فى ميدان الجهاد أجبن وأضعف. وليس على الصائم رقيب إلا الله سبحانه .

ومن هنا تنمو لديه ملكه مراقبة الله، والشعور باطلاعه عليه، فتخفى من نفسه مظاهر الرياء، والتطلع إلى إعجاب الناس، والرغبة فى حب الثناء، وذلك بعض ما يتعلمه المسلم من عظات الصيام ومعانيه، وقد بين الإسلام حدود الصيام التى يجب على المسلم أن يلتزمها؛ فإن للصيام جانباً ظاهراً وهو: الامتناع عن المفطرات فى ساعات النهار .. وذلك أمر ميسور يقدر عليه الحيوان، ولكن المهم فى الصوم جانبه الروحى الذى جعله الإسلام الهدف الحقيقى لهذه الفريضة.

ومن هنا فإن المسلم الحق يتخذ من الصيام وسيلة لتطهير نفسه وتركيتها. فإن من يغفل عن حقيقة الصيام، ولا يفتن إلى حكمته، لا يعود صيامه عليه بثمرة، ولا ينال منه إلا التعب .

وإلى هذا يشير رسول الله ﷺ بقوله: « من لم يدع قول الزور، والعمل به، فليس له حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »^(١) . ومن هنا فلا بد للصائم أن يتميز فى قوله وعمله، ويتخذ لنفسه سلوكاً يتفق مع جلال العبادة وقدسيتها الإيمانية. وإلى هذا يوجه الرسول ﷺ بقوله: « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد، أو قاتله، فليقل: إني صائم »^(٢) .

وبذلك يرتقى المسلم، إلى ذروة الإنسانية التى جعلها الله فى أحسن تقويم ويقى نفسه شر غرائزه، ويفتح فيها طاقات الخير .

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مسلم .

فما أجل معنى الصيام ! وما أقدس حقيقته ! وما أكرم من سر بين العبد ومولاه .! يقول الله تعالى في حديث قدسى : « كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى »^(١) .

فهو تجربة حية تدل على صدق الإيمان وتحوله إلى قوة قادرة على التوجيه والعمل .. ولهذا فإن المسلم الذى يرفع حقيقة الصوم، ويحسن القيام بواجباته فيه ينال الأجر العظيم، وتشمله الرحمة الواسعة .

فقد جعل الله - سبحانه - الصيام باباً من أبواب الطهر، وسيلاً من سبل المغفرة التى تعفى آثار الخطايا، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »^(٢) .

والأمر كله يعود إلى النية الصادقة والعزم القوى، ومتى خلصت نية المسلم فإن الله يعينه على سلوك سبيل الخير، ويسر له مجانبة السيئات، ومحاربة الأهواء ويقه نزغات الشيطان .

كما يقول الرسول صلوات الله عليه : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وينادى مناد: يا باغى الخير أقبل، يا باغى الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة »^(٣) .

وهكذا نرى الصوم فى حقيقته رياضة للنفس، وارتفاعاً بالإنسانية إلى أفق كريم، وجهاً كبيراً يطبع المسلم بطابع القوة، ويزيد من طاقته فى ميادين الكفاح .

ومن عجب ألا يفطن بعض المفتونين فى عصرنا إلى هذه الحقيقة الجليلة فيحاولون الغض من شأن الصوم، وإغراء المسلمين بالتفلى من قيوده بحجة الحفاظ على العمل، وزيادة الإنتاج !!

إن النفوس التافهة المشغوفة بالشهوات هى التى تحاول الإفلات من الصيام ولا تصبر على مشقاته . ونسى هؤلاء أن المسلمين الأولين الذين فهموا الإسلام حق

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذى .

الفهم، وعملوا به حق العمل، كانوا يرون في الصيام عبادة إيجابية لا الفريضة فحسب، بل وصوم التطوع الذى كانوا يحرصون عليه مختارين.. فلا عجب أن ظهرت فيهم البطولات وحدثت منهم العجائب، فإن للصيام تربية تقوى الإرادة وتصهر العزيمة، وتدفع إلى التضحية والفداء .

أما حين نرى في عصرنا جماهير من المسلمين تستثقل تلك الفريضة وتفزع من مشقتها، وفيهم الشاب القوى والصحيح القادر .. ويجدون من يعذرهم ويسول لهم، فإنه لأمر يبعث الأسى في النفس، ويكشف عما أصاب المسلمين في عصرنا من وهن واختلال .

كيف يرجى من هؤلاء خير في دينهم أو دنياهم ...!

بل إن هناك طوائف في بعض المجتمعات الإسلامية تحرص على تضييع معاني الصيام وإحاطة لياليه بجو من الهزل والفجور، حتى تضييع معالم العبادة فيه، وتمحى معانيه من نفوس المسلمين، وهذا هو حقير ينبغى أن يتنزّه عنه المسلم، وأن ينأى عن مواطنه، وأن يكون مثله الأعلى في رمضان ما كان عليه رسول الله صلوات الله عليه من هدى كريم .

لقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان. وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فيدارسه القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة^(١)، وكان يقوم في رمضان فيصلى ويتعبد. وكان يرغب الناس في ذلك ويقول: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر ما تقدم من ذنبه»^(٢).

هذا هو الصيام كما يفهم المسلم الحق .. سبيل من سبل التربية، وباب من أبواب الجهاد، ونظام حازم يطبع المسلم بطابع المبادرة والطاعة. ومهما قيل في بيان معانيه وفهم أسرارها، فلا تزال نتبين فيه جديداً ونبصر حكمه؛ فهو عبادة فذة كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «عليك بالصيام فإنه لا مثل له»^(٣).

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه الخمسة .

(٣) رواه النسائي والحاكم وصححه .

المبحث السابع

الإيمان والشوق للكعبة المشرفة

يولى المسلم وجهه شطر المسجد الحرام كل يوم خمس مرات، وهو يسجد لربه، ويظل قلبه أبدا متعلقا بهذه القبلة المباركة مسلوب المشاعر نحوها، فهي رمز العبادة، وهى موطن النبوة، وهى أول مسجد فى الأرض جعله الله لعبادته وتوحيده، ومن هنا يصبح الحج إلى بيت الله الحرام أملا لكل مسلم، لا يمل من التطلع إليه ولا تخمد حماسته نحوه، لما فيه من تأكيد الالتفاف حول الهدف واليقين بالغاية الواحدة التى تجمع المسلمين .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا ۝﴾
[الحج: ٢٦-٢٨]

والمسلم يعلم أن المسجد الحرام بمكة هو بيت الله، الذى أمر إبراهيم ببناؤه ليكون مثابة للناس ومقصداً .

وقد صانه الله وحفظه؛ وطهره وكرمه، ودفع عنه الطغاة والملحدین، وساوى فيه بين العاكفين والبادين، وأفاض فيه الأمن والطمأنينة على الناس أجمعين. ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وقد كان العرب فى الجاهلية يعظمون البيت عن تقليد للأباء، فلما جاء الإسلام ربط هذا البيت بحقيقته التاريخية، وفطرته الدينية، وجعله للمسلمين خاصة؛ لأنه ميراث أبيهم إبراهيم الذى أمره ربه بإقامته؛ ليكون قبلة ومقصداً للمسلمين.

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۚ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

لذلك جعل الله - سبحانه - من أركان الإسلام الحج إلى بيت الله الحرام، وجعل ذلك فريضة لازمة في العمر مرة على القادرين .

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

واستطاعة الحج إنما تكون بالقدره على مشقات الرحلة، وامتلاك النفقة الضرورية في أيام الحج .. ولا يشترط فيه الثراء العريض، ولا الصحة المفورة، فمن استطاع ذلك فقد وجب عليه الحج إلى بيت الله .

فما حقيقة الحج .. وماذا يتعلم المسلم من دروسه ويستفيد من تمارينه؟ إنه رحله روحية، وعبادة فريدة تترك أكرم الآثار في نفس المسلم، وتطبعه بطابع التجرد لله، والتزام حكمه والخضوع لشرعه .

ولهذا كان الحج بهذا المعنى طهارة شاملة، تمسح الخطايا، وتكفر الذنوب، وتبيض ما اسود من صحائف الإنسان؛ يقول رسول الله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»^(١) .

إن المسلم يتحمل مشقات الحج ومتاعبه راضياً، قير العين، فهو بذلك يطيع ربه، ويبادر إلى أمره. وفي ذلك تدريب على تحمل الأعباء، ومواجهة الشدائد، ومداقة الأخطار؛ ولذلك يتعلم المسلم من الحج معنى الجهاد .

وقد جعل الإسلام الحج جهاداً حقيقياً للنساء والضعاف من الرجال، يعفيهم من جهاد العدو، إذ هو غاية وسعهم ومنتهى تحملهم .

يقول صلوات الله وسلامه عليه: «جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة: الحج والعمرة»^(٢) .

(١) رواه الخمسة إلا أبا داود .

(٢) رواه النسائي .

كما قيل له: يا رسول الله هل على النساء من جهاد؟ قال: «نعم، عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة»^(١).

وقالت له عائشة رضى الله عنها: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور»^(٢).

فما أحوج المسلم إلى الحج وما فيه من تدريب على الجهاد، ولقد جمع الحج بين نفع الدنيا، وثواب الآخرة. فكما أنه يطهر المسلم من خطاياها، ويمسح عنه أوزاره، فإنه كذلك يفتح أمامه آفاقاً للكسب، ويتيح له التعاون، والتعارف مع إخوانه المسلمين من شتى أقطار الأرض.

ومن هنا يستطيع المسلمون أن يتبعوا منافع لهم وأن ينهضوا باقتصادهم واجتماعهم عن طريق الوحدة الروحية التي يحقها لقاءهم مع إخوانهم في موسم الحج. ولت الأمة الإسلامية في عصرنا تنتفع بتلك النعمة فتكسب منها وحدة الرأى ووحدة السلوك.

وقد كان العرب في الجاهلية يتبايعون ويتبادلون في موسم الحج، فلما جاء الإسلام كرهوا الاشتغال بالدنيا أثناء تأدية العبادة.. فرفع الله عنهم الحرج بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

ومعنى هذا أن الحج عبادة تمحو الذنب، وتمحق الفقر.

كما يقول الرسول ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»^(٣).

إنه مؤتمر كبير يأتى بغير تكلف يجمع ملايين المسلمين من كافة أنحاء الأرض، فيهيئ بهم أن يوحدوا صفوفهم ويخلصوا غايتهم، وأن تجتمع كلمتهم على استرداد

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه النسائى والترمذى .

حقوقهم وحماية حرمتهم ونصرة عقليتهم والتعاون في ميادين الحياة.. وكل هذا مما يشمل قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٨].

والمسلم يعلم أن وراء أركان الحج جميعاً قصد العبادة ونية ذكر الله .

ففى الحج يتعلم الناس حقيقة المساواة، وينزلون جميعاً على حكم الله، فيتجردون من ثيابهم التى ألفوها والتى يظهر فيها التفاوت الاجتماعى، ويلبس كل منهم إزاراً ورداء فى خشوع وإخبات .. فلا مكان للمباهاة، وهم جميعاً فى حرم الله، قد لبوا دعوته، وأقبلوا على كعبته، وأتوه جميعاً خاشعين قائلين كما كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»^(١) .

والمسلم فى هذه التلبية وهذا النداء الكريم ليس وحده، بل إن كل ما حوله من خلق الله يتجاوب معه حتى الجماد والشجر.. فما أروع هذا الموقف ! وما أقدس!

يقول الرسول ﷺ: «ما من مسلم يلبي إلا لبي من عن يمينه، وعن شماله من حجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا»^(٢) .

وحين يطوفون حول الكعبة فليس طوافهم مجرد دوران حول بناء .. بل هو مناجاة الله وصلاة.. وتطلع، وتضرع، واستغاثة والتجاء.. لصاحب الفضل، وواهب الإحسان.

ولهذا كان الطواف موضعاً من المواضع التى يستجب فيها الذكر والدعاء؛ وموطناً من مواطن الرحمة والمغفرة، يقول رسول الله ﷺ: «الطواف حول البيت مثل الصلاة، إلا أنكم تتكلمون فيه؛ فمن تكلم فيه فلا يتكلمن إلا بخير»^(٣) .

وكل مشاعر الحج ومناسكه لا يقصد بها إلا ذكر الله، والتطلع إلى فضله، واللجوء إلى رحابه، وليست طقوساً لا معنى لها، أو حركات لا تثمر فى النفس شيئاً.

(١) رواه الخمسة .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه الترمذى والحاكم .

يقول رسول الله ﷺ: «إنما جعل الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة، ورمى الجمار لإقامة ذكر الله - تعالى»^(١). كما يقول: «خير الدعاء، دعاء يوم عرفة»^(٢).
هذا هو الحج، كما يفهمه المسلم الحق، باب من أبواب النفع المبارك في الدنيا، وسبيل من سبل الآخرة.
ورحلة لله مصحوبة برعايته وفضله مشمولة بتوقيفه وإحسانه فالمعرض عن الحج معرض عن الله، غير راغب في ذكره ولا مهتد بهداه.
وهو حينئذ بعيد عن دينه، منحرف عن صراطه، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «من ملك زادًا وراحلة تبلغه إلى بيت الله، ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًا، أو نصرانيًا»^(٣).

(١) رواه أبو داود وأحمد والترمذي .

(٢) رواه الترمذي وأحمد .

(٣) رواه الترمذي وأحمد .

المبحث الثامن

الإيمان وحق الله في المال

لا ينسى المسلم حين يؤدي حق ربه أن الله سبحانه قد أمره بأداء حق أخيه الإنسان، فتلك أيضًا عبادة الله وابتغاء لرضاه. فلا بد أن يقوم بناء المجتمع على التكافل والتعاون، حتى لا يكون المال دولة في أيدي الأغنياء، بينما يحرم الفقراء من ضروريات الحياة. فالمال مال الله، والناس جميعًا شركاء فيه .. إن لم يكن على سواء فعلى الأقل بما يعين الفقير على أعباء الحياة، ويشد أزره في مواجهة دنياه .

وليست الزكاة إلا مظهرًا لما يفيض به قلب المسلم من إحساس بالمسئولية الاجتماعية، وشعور قوى بالتضامن والارتباط فهي كما قال الرسول صلوات الله عليه: «صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم».

والمسلم يفهم لماذا يقرن الإسلام دائمًا بين حق الله وحق العباد، فيجمع بين الصلاة والزكاة .. ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ١١٠]. ويجعل ذلك من سمات المؤمنين .. ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [الحج: ٤١].

إن الإنفاق نتيجة من نتائج الإيمان ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ٧].

ولم يترك أمر الإنفاق موكولا إلى ضمائر الناس، بل حدده بالشرعية، فأوجب زكاة المال، بنسبة معلومة في كل موارد الكسب، من الذهب والفضة، والتجارة والزروع، والثمار، والسوائم من الإبل، والبقر، والغنم، والكنوز التي توجد في باطن الأرض، وأنصبة هذه الزكاة تتسم بالعدالة والوسط، ولا تحجف الفرد، ولا تصادر نشاطه الضروري، ولا تستولى على قوته الذي يحتاج إليه، وفي الوقت نفسه، ترعى حق الفقير فلا تشترط قدرًا كبيرًا من الثراء .

كما فرض زكاة الفطر من صيام رمضان على كل مسلم يجد ما يزيد عن كفايته في يومه وليلته، فيتعلم المسلم من دينه كيف يكون التضامن؟ وكيف يسع الناس بعضهم بعضاً في مجتمع الإسلام .

ومن هنا يدرك المسلم الأساس الذي تقوم عليه فريضة الزكاة، ويعرف ثمراته للفرد والمجتمع .

فإن الزكاة من جانب المزكى طهرة لماله، وسمو بنفسه، وعلاج له من أدواء الشح والبخل، حتى لا يكتنز المال، ويحبسه عن نفع المجتمع.. كما يقول الله سبحانه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٢].

وهي كذلك سد للخلة^(١)، وكفاية للحاجة، وإقامة للعدالة، وتقرير للتكافل بين الناس؛ لهذا يعلم المسلم أن الزكاة حق للفقير، لا فضل من الغنى .

إنها فريضة مادية ومع ذلك يربطها الإسلام بأصل الإيمان، ويقرر لها قداسة العبادة، وجلال الشعيرة ويجعله انعكاساً لما يعمر القلب من عقيدة ومبدأ.. فالقرآن الكريم يذكر الزكاة في أصول الإسلام الأولى، التي لا يتخلى عنها، ولا يقبل جدلاً حولها: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

كما يجعل الكفر بحق الفقير، تكديباً بالدين، وإنكاراً للبعث: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدِّينِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا تَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ ﴾ [الماعون: ١-٣].

ويجعل الاستهانة بحق الفقير سبباً من أسباب الجحيم: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۚ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ۚ ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٤].

بل يجعل القرآن جحد الزكاة، ومنع حقوق الفقراء، وجهاً بارزاً للكفر يكفى للتعريف به، وينوب في الدلالة عليه: ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۚ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [فصلت: ٦-٧].

(١) الخلة: الحاجة والفقير .

ولا يذكر القرآن إقامة الصلاة، وهى حق الله سبحانه، إلا ويقرنها غالباً بأداء الزكاة: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١].

وهكذا يحل الإسلام فريضة التكافل الاجتماعى محلها بين أركانها ويضمن لها الثبات والرسوخ، ليعلم المسلم ارتباط تلك الفريضة بحقيقة الإيمان ودلالاتها الواضحة على صدق اليقين فيبادر إلى أدائها راضياً .

إنها تجربة صادقة للبذل، تؤدى إلى ألوان أخرى من التضامن والتعاون .

ولا ينتهى الأمر بالمسلم عند أداء زكاة ماله بحدها المفروض فإن أمامه باب التطوع، يرغبه فيه الإسلام، ويحضه على المضى فى سبيله.. فالزكاة حد أدنى للتكافل الاجتماعى يضعه الإسلام، يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: « إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك»^(١).

ولكن القرآن إلى جانب نصه على الزكاة المفروضة، يذكر حق الفقير فى مال الغنى على الإجمال، مما يبين أن المهم كفاية الحاجة وسد الخلة: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْخُرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩].

وهذا الحق غير الزكاة المفروضة وهو حق يعرفه المسلم بحسه المرهف، وقلبه النقى، وتجابه مع الأحداث التى تقع حوله، وإحساسه بأنه لبنة فى بناء كبير.

والمسلم يعلم أن الزكاة حل ناجح وكريم لمشكلة الحاجة والضعف والتخلف فى مواجهة الحياة، إنها مورد متجدد يشمل كل مصادر العمل والكسب، يتجه إلى مصب واحد: الفقر والعوز والحاجة، فلا يزال ذلك يعمل عمله فيمسح الآلام، ويقرب الفوارق، ولا يفسح المجال للثروة الفاحشة، أو الاستعلاء على البائسين، أو الازدراء بحقوق المساكين .

(١) رواه الترمذى وابن ماجة .

وقد شهد بذلك تاريخ المجتمع الإسلامى فى كل الأجيال التى أقامت تلك الفريضة إلى عهد قريب. فقد كان المجتمع الإسلامى بمنجى من البؤس والضعفة، وكانت الحياة فيه كريمة على كل فرد، لا يحفل بصور الشقاء والحاجة التى تهوى بالإنسان إلى الحضيض، وتلبسه ثوب الذلة والهوان.

وكانت الزكاة تعمل عملها فى التقريب بين الطبقات، وكفاية المحتاجين. إنها حل طبع ميسور، يخفف الأحقاد، ويلطف من حدة الصراع، ويحقق التآزر بين القادرين والعاجزين، وعن طريقها نجح المجتمع الإسلامى فى تحقيق السلام بين الطبقات وربطها برباط التكافل، مما يحقق التوازن، ويشيع التكافل فى المجتمع.. ويعالج كثيرًا من المشاكل التى تهدد المجتمع بالاضطراب والاختلال.

إن المسلم لا يبخل عن حقوق العباد، ولا يعرض نفسه للهلكة فهو يعلم أن البخل لن يعود عليه بالخير فى دنياه أو آخرته.

ففى الدنيا تحقق ثروات الباخلين، ويزيلها التوفيق والبركة كما قال الرسول ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»^(١).

إن الله يبارك فى أموال المنفقين، ويخلف على المتصدقين. ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبا: ٣٩].

وفى الآخرة تصبح ثروات المسكين وسيلة من وسائل العذاب الأليم.

كما قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً لا يودى زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعاً (ثعباناً) أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه (أى شذقيه) ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك»^(٢). ثم تلا: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

(١) رواه البخارى وغيره .

(٢) رواه الخمسة إلا أبا داود .

فلن يكتسب من يجحد الزكاة إلا البوار والخسران، أما الإنفاق والتصدق فهو خير محض للمنفقين؛ فالمال نعمة من الله أنعم بها عليهم، ثم يستقرضهم منها بأجر مضاعف وثواب عظيم: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

والمنفقون في رحمة الله ورعايته: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. والذي ينفق في سبيل الله لا يضيع عمله هباءً فإن الله يدخره له ويجزيه به .

﴿وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

ولقد فرض الإسلام على كل مسلم أن يشرب قلبه حب الخير، ونفع الناس بما يستطيع، من مال وجهد أو نية وشعور. فليس لأحد أن يعيش مع الناس يمنع عنهم خيره، ويسيطر إليهم أذاه؛ فإن رسول الله ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة»، فقالوا: يا نبي الله فمن لم يجد.

قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة»^(١).

وهكذا يصبح المسلم ويمسى، وهو يمد الحياة بنفع، ويشيع فيها الخير بين الناس، فهو يعلم أن هذا مقياس الإسلام، ودليل اليقين، فليس الإيمان بالتمنى، بل هو ما وقر في القلب وصدقه العمل.

(١) رواه الشيخان والنسائي .

المبحث التاسع

الإيمان والجانب الأخلاقي

١- صدق المسلم :

من ملامح المسلم ومعالمه البارزة التزام الصدق في قوله وعمله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

فهو خلق أصيل من أخلاقه يعبر عن حقيقته، ويسير إلى أهدافه. والصدق في نظر المسلم ليس إلا الحق الذي هو أساس الإيمان وعماد الوجود، أما الكذب فهو الباطل، الذي لا يقوم له بناء ولا تثبت له قدم .

وما دام قد اختار طريق الحق، فأمن بالله وعرف سر الوجود، فلا بد أن يتحرى الصدق في قوله، وأن يتخذه منهاجاً في حياته؛ لأنه يعلم أن الكذب يناقض الإيمان، وأنه خطر يهدد العقيدة، ويفسد العمل.

من هنا فإن المسلم الحق لا يتصف بالكذب، ولا يرضى به طريقاً، كما يقول الرسول ﷺ: « يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»^(١)، كما أن التزام الكذب، والميل إلى الباطل، يخرج صاحبه من دائرة الإيمان إلى هاوية النفاق، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كان فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب ..»^(٢).

ولهذا فإن المسلم يتخذ من الصدق طريقاً مأموناً ينتهى به إلى رضوان الله - سبحانه - ويهديه إلى حسن العاقبة في الدنيا والآخرة، فينمى مواهب الخير في نفسه، ويطبعه بطابع الحق، فيألف مسالك الخير والاستقامة، وينبت في قلبه بذور اليقين والمعرفة، ويسمو به إلى أرفع الدرجات .

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه البخارى .

ويصور ذلك الطريق، ويعبر عن مناهجه قول الرسول ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً...».

«وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً». وليس الصدق طريقاً إلى رضوان الله - سبحانه - وعظيم مثوبته فحسب، بل هو طريق النجاح في الحياة، وهو الصراط المستقيم الذي يصل بصاحبه إلى التوفيق في سلوكه، والرشاد في سعيه، وهو بذلك طريق النجاة في الدنيا والآخرة.

وأما الكذب فليس وراءه إلا ضلال القصد، وسوء العاقبة، مهما بدا للنظر القاصر غير ذلك، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «تحروا الصدق، وإن رأيتم أن الهلكة فيه، فإن فيه النجاة»^(١).

وبذلك يصبح الصدق في نظر المسلم سنة من سنن النجاح في الدنيا، والفلاح يوم القيامة، وقانونا من قوانين الإيمان يعكس نظرة المسلم إلى الحياة، ويدل على طريقته الذي ارتضاه.

ومن هنا يبلغ المسلم الغاية في طلب الصدق، فيحرص على أن يعتاد لسانه قول الحق، في الصغير والكبير، وفي الجد واللعب حتى يصبح الصدق سمة من سماته، وصبغة من خلقه لا تزول، مهتدياً في ذلك بقول الرسول ﷺ: «لا يؤمن العبد بالإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح»^(٢).

ويقوله ﷺ: «من قال لصبي تعالى هاك - أى لأعطيك - ثم لم يعطه فهى كذبة»^(٣).

وليس وراء ذلك غاية في تزكية النفس، وتهذيب الخلق، والسمو بالإنسانية إلى أعلى مراتبها في رعاية الحق، وإيثار الصدق في كل شأن وعمل.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه أحمد .

إن الصدق في نظر المسلم، وفي مفهوم الإسلام، ليس وصفاً للالتزام الحقيقة في القول، والحرص على الصواب في المنطق فحسب، ولكنه وصف لاتجاه المسلم في حياته، وحقيقة تدل على معدنه، وتوضح طريقه .

فالصدق في العمل يعنى إخلاص النية واجتناب الرياء الذى يحبط العمل، ويفسد الحياة، ويجعلها زوراً لا حقيقة وراءها.

وهكذا فإن المسلم يصدق مع ربه، كما يصدق مع نفسه ومع الناس، فيصبح ظاهره كباطنه في الصفاء، والطهر، والاستقامة، ويجعل وسائله في حياته شريفة كغاياته، فهو يعلم من كتاب ربه، أن الكذب سبيل الضلال بل هو طريق الكفر؛ لأنه مذهب لا يختلف، وطريق تدل بدايته على نهايته، فمحال أن يختاره مسلم يبغى لنفسه حسن العاقبة: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِقَايَتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥].

وأقبح الكذب وأشدّه عقاباً ما انتهكت به الحرمات، وضاعت به الحقوق، كشهادة الزور، التى تقلب ميزان العدل، وتغير وجه الحق، فتشيع المظالم، ويظهر الفساد، ولذلك نهى الإسلام عنها أشد النهى، وشدد النكير على من يشهدونها. فجعلها من أكبر الكبائر عند الله، كما يقول الرسول ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً - قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وقتل النفس - وكان متكئاً فجلس - وقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور. فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»^(١).

ومن هنا فإن التزام المسلم بالحق، وحرصه على رعايته مهما كلفه ذلك من عناد يعود على المجتمع كله بالطمأنينة، ويسبغ عليه ظل الأمان، حتى ليصل المسلم إلى درجات عالية من المثالية والتضحية، ومجانبة النفع الذاتى، فى سبيل خير المجتمع، والحفاظ على حقوقه الإنسانية: ﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥].

(١) رواه البخارى .

ومعنى ذلك أن الصدق فى ميزان المسلم الحق غاية فى ذاته .. دون النظر إلى نفع، أو حرص على مصلحة: إنه شهادة لله، واستقامة مع سنته فى الكون والحياة، وليس وراء ذلك مثالية ولا ارتقاء بالإنسانية .

٢- أداء ١ مائة:

الأمانة خلق من أخلاق المسلم الأصلية التى تنبع من عقيدته، وتدل على صدق اتجاهه، وشرف غايته .

ولهذه كانت الأمانة من لوازم الإيمان، وكانت الخيانة من علامات الجحود والكفران، كما يقول الرسول ﷺ: « لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له »^(١).

والأمانة بمعناها الحقيقى فى نظر المسلم صفة نفسية تملى على صاحبها سلوكا لا يتبدل إزاء كل ما يعهد إليه القيام به، وكل ما يلتزم ويتحمل مسئوليته .

وهى بهذا تحيط بكل تبعات الحياة الصغيرة والكبيرة، وتتناول كل الأعباء التى يحملها الإنسان، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ: « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته »^(٢).

غير أن العبء يعظم، والمسئولية تتأكد، كلما اتسع النطاق، وثقلت الأمانة. فالولاية على الناس، ورعاية أمورهم، أمانة كبرى، لا يستشرق لها المسلم إلا حين يثق فى قدراته على حملها، وكفاءته أمام أعبائها، وصدق نيته فى إشاعة الخير بين الناس، وكبح نوازع الشر عنه .. وإلا عرض نفسه للحساب، وجلب عليها سوء العقاب .

عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملنى؟ (أى تسند إلى عملا أقوم به؟) قال: فضر ببيده منكبى ثم قال: « يا أبا ذر: إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذى عليه فيها »^(٣) .

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

والحق أن ضياع تلك الأمانة من علامات انتهاء الحياة في الأرض، وأمارات اقتراب القيامة، وهو دليل على فساد الحياة، واختلال موازينها.

فقد جاء رجل يسأل رسول الله ﷺ: متى تقوم الساعة؟ فقال له: «إذا ضيعت الأمانة فانظر الساعة» فقال: وكيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسدَّ الأمر لغير أهله فانظر الساعة»^(١).

ومن هنا فإن المسلم يحسن القيام بكل ما يعهد به إليه، ويعلم أنها أمانة يسأل عنها ويتوقف مصيره على أدائها. والمسلم الحق يعلم أن النعم والمواهب أمانة، وعطاء مشروط بأن يتجه به الإنسان إلى سبيله القويم.

ومن العجيب أن كثيرًا من الناس يهلكون أنفسهم، فيجحدون فضل الله، ويضعون نعمه في غير مواضع الشكر.

وتلك خيانة تجلب على صاحبها الشقاء في الدنيا والآخرة، والمسلم يعلم أنه مسئول عن تلك النعم التي ابتلاه الله بها، فيحرص على أن يروجها في سبيل الخير، وأن يرعى فيها حدود الله، فيستديمها بالشكر وينجح فيما يعرض له من ابتلاء، مدرِّكًا خطر المسؤولية التي تتجلى في قوله ﷺ: «لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن عمله ماذا عمل به»^(٢).

أما جانب المعاملة فإنه موطن عظيم من مواطن الأمانة التي يجب أن تتجلى في المسلم حتى يتضح يقينه بما للناس من حقوق.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

فما يجوز أن يستبيح المسلم لنفسه من حقوق الناس شيئًا، وإن هان، فإن ذلك ليس من أخلاق المؤمنين الذين يعلمون أن كل المسلم على المسلم حرام.. دمه وماله وعرضه.

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الترمذى .

وقد بين الرسول ﷺ أن الله سبحانه قد يغفر حقوقه، ويفصح عن سيئات عباده، ولكنه لا يعفو عن حقوق العباد .

ففى البخارى أن رسول الله ﷺ قال: « إذا خلى المؤمنون من النار - أى اجتازوا الصراط - حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيتقاضون مظالم كانت بينهم فى الدنيا ».

ولهذا فإن ضمير المسلم يستيقظ، وإحساسه يرق، فيؤدى الأمانة للناس جميعا وصدق رسول الله ﷺ: « لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له »^(١) .

وذلك هو الإسلام الحق الذى يشيع الأمن بين الناس، ويحفظ لكل فرد حقه، ويصون حرمانه .

إن المسلم يعلم أن حياة الإنسان فى هذه الدنيا مجموعة من الأمانات صغيرة كانت أم كبيرة. وهو مطالب بأن لا يخون فيها ولا يفرط فى أدائها.. ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

ولكن العجيب أن سلوك أكثر الناس فى هذه الدنيا يتسم بالخيانة والتفريط!.. وهذا ما سجله القرآن الكريم فى قوله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾. [الأحزاب: ٧٢]

نعم .. لقد كانت الحياة منذ قامت مسرحًا للجبهالات وميدانًا للتظالم، مما يجعل الخيانة سمة بارزة لكثير من المجتمعات والعصور، ولا عاصم من ذلك إلا صدق الإيمان، وبقظة الضمير، التى تبرئ صاحبها من الظلم، والجهل، وتشدُّ يدهُ بعري الأمانة والإيمان .

(١) رواه أحمد .

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

صلة المسلم بالناس تشملها السماحة ويظللها الحلم؛ ويحيط بها العفو والتجاوز وضبط النفس. إن ذلك من علائم التقوى، وأمارات الإيمان، كما أنه من دلائل قوة النفس وسموها، واعتدادها بإيمانها، وارتفاعها عن سوءات الحقد، ومشاعر السوء. وقد كان ذلك المعنى من معاني الإيمان التي أبدلها الإسلام في أفهام العرب عن القوة والبأس، فقد كانوا من قبل يظنون أن القوة في الانتقام والغلبة.

ولذلك قال الرسول ﷺ لأصحابه: «ما تعدون الصرعة فيكم؟» (أى القوة والشجاعة) قالوا: الذى لا تصرعه الرجال، قال: «لا، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب»^(١).

فذلك هو الذى نضج إيمانه وقهر هواه وسيطر على نواذره وسلوكه. ولئن كانت المشاعر الغريزية للإنسان تدفعه إلى الانتقام والانتصار، وتغريه أن يقابل السوء بمثله، فهذا حق أباحه الإسلام للنفس البشرية مقيداً بعدم التجاوز كما يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]. وكما يقول فى أوصاف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩].

لكن الإسلام بعد تقرير هذا الحق، أهاب بالإنسان أن يسمو إلى منزلة أعظم من ذلك وأكرم، منزلة ينالها المسلم بإيمانه وتقواه، وله بها أعظم الأجر من الله.

وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

وذلك يجعل المسلم يؤثر ثواب الله على شفاء الغيظ وإجابة نداء الانتقام ويفصح عن أخيه رجاءً لما عند الله من عظيم الأجر فقد تكفل بمرضاته وإثباته؛ جزاء

(١) رواه مسلم.

تجاوزته عن الإساءة وترفعه عن الانتقام، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ وكما قال الرسول ﷺ: « إذا كان يوم القيامة ينادى مناد: ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة، وهم العافون عن الناس »^(١).

إن المسلم يعلم أن الحلم والعفو منزلة من منازل الإيمان، وليس علامة ضعف ولا أمانة جبن. إنه أمانة اليقين بأن الله صاحب الحساب والجزاء، وبأن ثوابه الذى أعد للعافين عن الناس، خير من لذة الانتصار والانتقام. ولذلك يرقى المسلم إلى تلك الدرجة العليا وذلك الثواب العظيم يبين ذلك قول النبى ﷺ: « من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق، حتى يخيره فى أى الحور شاء »^(٢). وهذه دلالة على استحقاقه الجنة، وفوزه برضوان الله.

إن الإسلام يجعل العفو والصفح سبيلا من سبل التهذيب الخلقي ينظف القلب من مشاعر الحقد، ويظهره من نزعات السوء، بذلك يرتفع يقين المسلم، ويثبت إيمانه ويبلغ كماله، فتعلو منزلته عند الله ويعظم ثوابه.

يقول الرسول ﷺ: « ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان، ويرفع الدرجات؟ » قالوا: نعم يا رسول الله. قال: « تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك، وتصل من قطعك »^(٣).

وذلك سمو بالإنسانية إلى أرفع درجة يطبقها الإنسان، فيهدب نفسه ويظهرها من نوازع الشر وبواعث الانتقام.

والمسلم فى ذلك العفو والتسامح يصدر عن وعى بأمن المجتمع وسلامته، فهو يعلم أن صغار الشرر تتهيج كبارها، وأن التنازع يودى بقوة الجماعة. فالخصومة، والقطيعة بين الأفراد والجماعات، تهدم أمن المجتمع وتزلزل أركانه، وتجعله مسرحا للفتن والأحقاد: ﴿ وَلَا تَنَزَعُوا فَيَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وهو يعلم

(١) رواه الطبرانى بإسناد حسن. وهو من حديث طويل بمعناه.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه الطبرانى.

أن رباط الأخوة من القوة والأصالة؛ بحيث لا تفصمه الضغائن، أو أزمات الحياة وصعاب المعاملة. فالأخوة بين المسلمين يجب أن تكون أقوى من المنازعات والأحقاد. فإن الصلة بينهم من صنع الله يقويها اجتماعهم على دينه، ونصرتهم لشريعته. ومن هنا يصبح العفو ضرورة يحتملها حفظ الكيان الاجتماعى ويدعو إلى ما يجب أن يشيع بين المسلمين من حب ورحمة حتى تنمو الصلات وتقوى الروابط: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وإذا كان هذا شأن المسلم فى الصفح والغفران عن زلات أخيه، فإنه بالأحرى لا يتعدى عليه ولا ينتهك حرمة. فالعدوان جريمة ينبغى ألا يفكر فيها مسلم، وأمامه قول الرسول الكريم: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»^(١). فأينما نظر المسلم إلى أخيه فلن يجد منفذاً للشر ينفذ منه إليه، مادامت الأخوة بينهما قائمة، ومادام الحق والعدل يظلل المجتمع كله. فلا سباب ولا نزاع ولا قتال من المسلمين، وإلا فهو الفسق والكفر، كما يقول النبى ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٢)، وكما يقول: «ما من مسلمين إلا وبينهما ستر من الله عز وجل، فإذا قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر، خرق ستر الله»^(٣). تلك هى الصلة التى تنبغى بين المسلمين. لقد جعلهم الله أخوة وذكرهم بنعمته التى تستوجب الشكر وتستأهل العرفان: ﴿وَاذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فلا بد للمسلم من أن يقى الناس شره، وحذرهم رسولهم من الفتنة والفساد، وبصرهم بعواقب التنازع حين قال: «فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٤)؛ فيسلمون من لسانه ويده، وأن يشمل إخوانه صفحه وتسامحه، فذلك أجدى عليه وعلى الإنسانية جميعاً.

(١) أخرجه الستة إلا النسائى وهذا لفظ مسلم .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البيهقى .

(٤) رواه البخارى .

قال الله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا^ط وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

الصبر من أخلاق المسلم ووسائله في الحياة التي هداه إليها القرآن: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وهو من دلائل صدق الإيمان، فإنه لا يصبر لحكم الله إلا مؤمن به، مقدر لحكمته، مبتغٍ لثوابه في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

والمسلم يعلم أن الصبر ضرورة في هذه الدنيا، فالدنيا ميدان فسيح تعاقبت عليه الأجيال، واختلفت عليه الأمم، فواجهتهم طبيعة الحياة، ومازال هذا الميدان يستقبل أجيال البشر بطبيعة لا تتغير وحقيقة لا تختلف، يشير إليها قول الله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ^ط وَنَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٠].

فالصبر يجعل المسلم يحسن التصرف في كل موقف، ويواجه الحياة بمشاعر ثابتة، وقلب مطمئن. فإن ذلك هو ما يقتضيه الإيمان وما يضره اليقين.

وهل هناك ما يحفز الهمم على الصبر للنجاح في معركة الابتلاء أعظم من قوله سبحانه: ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِّن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ولئن كان كل إنسان يجب أن تسير الأمور على هواه، فإن للقدر خطة محكمة ونهج مرسوم. وليس أمام الإنسان إلا أن يتقبل الأحداث ويواجه الواقع، بتسليم ورضا، فإن ذلك خير له في الدنيا والآخرة، أما الجزع والسخط فإنه يجرمه راحة الدنيا وثواب الآخرة.

والمسلم يعلم أن قوة الله لا تقهر، وإرادته لا تغلب، ومشيتته لا ترد، ورحمته من وراء ذلك للصابرين، وهدايته للموقنين، وإن قلبه ليغمره الرضا، وتملؤه السكينة حين يتلو قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَشِيرَ الصَّابِرِينَ ۝ ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿ ١٥٦ ﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ ﴿ ١٥٧ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فالرضا والاحتمال نعمة كبرى يهبها الله للصابرين، الذين يرضون بحكمه، ويستسلمون لإرادته، فيكتسبون طمأنينة النفس وثقة القلب وصلاح البال، وهذا خير عطاء وأفضل نعمة، كما يقول رسول الله ﷺ: «.. ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»^(١).

والمسلم يعلم أن الابتلاء مهما اشتد فهو خير له في الدنيا والآخرة، بل هو دليل على أن الإيمان يعمر قلبه وأن القدر يرشحه بذلك للدرجات العلى.. ولهذا كان الابتلاء سنة لا تتبدل في حياة المصطفين الأخيار.

فإن قلوبهم عامرة باليقين، مزودة بطاقة من التحمل والثبات.. فقد سئل رسول الله ﷺ: أى الناس أشد بلاء؟ قال: « الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»^(٢).

ومن هنا فإن الإسلام لا يهن أمام البلاء، ولا ينكص على عقبيه إن مسته الضراء؛ لأنه يعلم أن للإيمان تبعات، وأن المكاراه طبيعة الحياة التى يميز الله بها الخبيث من الطيب ويمحص بها الصدق من الادعاء: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه ابن حبان .

فإذا انتهت هذه الدنيا وانطوت صفحاتها، فإن للصابرين من عظيم الأجر
وكريم الجزاء، ما ينسيهم ما لقوا في الحياة من جهد وعناء: ﴿ إِنَّمَا يُؤْتَى الصَّابِرُونَ
أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

وهذا الأجر الجزيل في دار الخلود لا تقاس به نعمة أو سلامة في الدنيا الفانية
مهما طالت، التي يزول نعيمها وتنسى لذتها. ولذلك «يود أهل العافية يوم القيامة
حين يعطى أهلا البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقارض»^(١).

والمسلم يميز ببصيرته بين المواطن التي يحمد فيها الصبر، والتي يتخذها من
الصبر سلاحاً ماضياً في جهاده وكفاحه في سبيل الحق فهو لا يصبر على الذل ولا
يرضى بالضميم ولا يستسلم للطغيان: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا
فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا
قَالُوا لَيْكَ مَاؤُنْهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧].

أما صبر المسلم فإنه قوة دافعة تجعله أصلب عوداً وأشد بأساً
فلا يجزع ولا يفزع: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

(١) رواه الترمذى .

المبحث العاشر

الإيمان وتفكر المسلم في ملكوت الله

إن العلم في نظر المسلم هو قمة الهدى التي يبلغها الإنسان، وهل الإيمان إلا نوع من العلم بالله، وتصحيح النظرة إلى الكون والحياة، محوطاً بالحقائق والدلائل؟ ولهذا يجعله القرآن مقابلاً للكفر الذي هو جهل وضلال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُلَاءِ﴾ [الزمر: ٩].

إن المعركة مع الكفر هي معركة مع الجهل والخرافة، إذ يقوم الكفر على أوهام وأكاذيب لا سند لها ولا برهان: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْتُونِ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْثَرَكُمْ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

ومن هنا كان شقاء الجاحدين حين اتبعوا أهواءهم وقصدوا أوهامهم ولم يبحثوا عن الحق ولم يتحروا الصواب: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [الروم: ٢٩].

وذلك ما يجعل المسلم حريصاً على العلم معولاً عليه في بلوغ الحقيقة واستقامة الطريق .

والمسلم يرى في آيات الكتاب أنها إنما أنزلت للعالمين، الذين يخرجون من أسوار الجهالة ويفتحون عقولهم لضياء المعرفة: ﴿وَمَا يَعْزِقُهَا إِلَّا أَلْعَلُّمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. فأولئك الذين يستجلون آيات الله يفهمون دلائل وجوده وقدرته، ولهذا كان الإيمان الصحيح بحاجة إلى قاعدة من التسليم، وهداية من العقل تساند الشعور وتوجهه العاطفة، وتمد القلب بألوان من الطمأنينة واليقين.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ۖ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۖ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ [الأنعام: ٩٧-٩٨].

إن ذلك يلفت الأنظار إلى مشاهد الكون، ويجعلها سبيلا إلى معرفة الخالق، وفهم أسرار الحياة. فما كان الشرك بالله إلا عن جهالة بقدره وذهول عن عظمته المتفردة ومشيتته المطلقة: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَمُرُّونَ ۚ أَعْبُدُوا إِلَٰهًا آخَرَ ۚ إِنَّهَا جَاثِلَةٌ ﴾ [الزمر: ٦٤]. ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧]. وما يكون التوحيد والإيمان الصادق إلا عن وقوف على حقائق الكون، وإدراك للقدرة التي تفردت بذلك الإبداع. وإلى هذا يشير القرآن بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ ﴿١٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلَا تَعْمَرُ مَخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۚ كَذَٰلِكَ ۖ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

ومن هنا فإن المسلم لابد أن يبرأ من الجهالة التي كانت وما تزال علة التكذيب والجهود ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ۖ ﴾ [يونس: ٣٩].

إن إيمانه يرتقى به إلى آفاق سامية من المعرفة والهداية. وهو يبدأ في العلم بأولى المعارف وبدييات الحقائق، من الإيمان بالله ولقائه وما ينبغى له. ثم يطلق بصره في الآفاق يتعلم كل خير ويتبصر في كل ما يحيط به ويدرك من قضايا الوجود وحقائقه ما يشاء .

وهو يعلم أن دائرة العلم في الإسلام أوسع من أن تحد وأشمل من أن تحصر بنوع أو اتجاه. فالمسلم يتعلم كل ما ينفعه وكل ما يطمح له ويستعد، ويعلم من كتاب ربه أن العلم الذي تميز آدم به على الملائكة ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] ليس إدراك أسماء، بل هو خبرة بالمسميات ومعرفة بطبائعها وأحوالها، وفي هذا ما يشير إلى دور العلم في حياة الإنسان وأثره في تذليل الحياة له .

لكن المسلم يعلم أن العلم لا خير فيه ولا أثر له إن لم يهد إلى الحقيقة الأولى، وهي معرفة الله سبحانه وتعالى .. وإلا فما فائدة أن يعلم الإنسان من خصائص الكون وطبائع الأشياء ما يعلم، ثم يغفل عن الخالق الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى...؟!

إن العلم هنا لم يقيم بدوره ولم يهد الإنسان إلى حقيقة وجوده ومهمته في حياته.
ولهذا ينعى القرآن الكريم على حضارات البشر الجاحدة التي تركتهم قطيعا هملًا
لا تتعدى معارفهم المادة وظواهرها دون أن ينفذوا إلى الحقائق، أو يعقلوا المعاني .

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [الروم: ٨]. ﴿ وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ﴾ [الروم: ٦-٧].

وإننا لنرى الحضارات المادية في عصرنا تنفذ إلى كثير من حقائق العلم المادى
وتصل إلى آفاق عليا في شتى ميادينه .. ولكن تصورها للحياة ومعرفتها بحقيقة
الكون وغايته لا تعدو أن تكون معرفة ظاهرة، تشوبها الخرافات والأوهام أو
الجحود والنكران، فما يتناسب تفوقها العلمى مع حظها من إدراك الحق وصلتها بالله
خالق الكون والإنسان.

أما الإسلام فإنه يرتب كل الحقائق ويبنى صروح العلم على أساس اليقين
بوجود الله وتوجيه الحياة إلى طاعته، فالعلم في نظر المسلم وحدة متكاملة لا يتناقض
بعضها البعض، ولا تنقسم إلى شطر نظرى وآخر عملى، بل تقوم على مبدأ واحد
وإدراك متكامل لا تعدد فيه ولا انفصام .

إن الإسلام يجعل العلم بمعناه الواسع فريضة على كل مسلم .. وفي سبيل ذلك
نوه القرآن الكريم بأداة العلم ووسيلته، وهى الكتابة: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
يَعْلَمْ ۝ ﴾ [العلق: ١-٥].

ومن هنا يدفع القرآن الإنسان إلى أفسح آفاق العلم والمعرفة.

وقدوة المسلم فى ذلك رسوله الكريم ﷺ، الذى وجهه القرآن أن يطلب
المزيد من العلم وأن لا يقف عند حد منه مادام يجد إليه سبيلا: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝ ﴾
[طه: ١١٤].

وموسى الكليم الذى لم يستنكف أن يبغى المزيد من العلم وتعرف الحقائق، بعد أن أوتى الرسالة، فقطع المسافات فى البحر يطلب المعرفة ويبحث عن الحق.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥-٦٦].

وهو توجيه راشد، بابتغاء العلم من أى سبيل والجهد فى طلبه، فإن «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها»^(١).

ويكفى أن يكون طلب العلم طريقا إلى الجنة، ليعلم المسلم أن العلم النافع باب الإيمان: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»^(٢).

«إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع»^(٣)، ولا ينتهى دور المسلم عند طلب المعرفة والاستزادة من العلم، بل إن ذلك يضع على كاهله عبئا هو أن يعلم الجاهل ويرشد الضال وينشر ضياء المعرفة فى كل مجال. فذلك أفضل المراتب التى يبلغها المسلم، كما يقول الرسول ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٤). وقد أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يعيشوا العلم ويبلغوه: «ليبلغ الشاهد الغائب»، ويقول: «بلغوا عني ولو آية»^(٥). بل إن كتمان العلم جرم كبير يؤذى صاحبه ويشقيه: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة». وذلك يجعل من المسلم الحق ضياءً لمجتمعه وأداة نافعة لدينه ودنياه.

(١) رواه الترمذى .

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى .

(٣) أخرجه البخارى وأبو داود والترمذى .

(٤) أخرجه البخارى .

(٥) أبو داود والترمذى .

المبحث الحادى عشر

الإيمان والأمن النفسى

كما لا يتحسر المؤمن على الماضى باكيًا حزينًا، ولا يلقي الحاضر جزعًا ساخطًا، لا يواجه المستقبل خائفًا وجلًا، ولا يعيش فى فزع منه، ورهبة من غموضه، وتوجس من جبروته، كأنه عدو شرير متربص، بل يعيش آمن النفس كأنه فى الجنة .. إن إيمانه كان مصدر أمنه، والأمن من ثمرات الطمأنينة والسكينة بل هو نوع منها، إنه طمأنينة تتعلق بالمستقبل، بكل ما يتوقعه الإنسان ويخاف منه، أو يخاف عليه، ولا سعادة بدون هذا الأمن النفسى .. وقد قيل لحكيم: ما السرور؟ فقال: الأمن فإنى وجدت الخائف لا عيش له .

ولا عجب أن جعل الله الجنة دار أمن وسلام كاملين فأهلها فى الغرفات آمنون، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، تتلقاهم الملائكة منذ اللحظة الأولى ﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦].

الإيمان مصدر ا مان:

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾

[الأنعام: ٨٢]

إن الناس يخافون من أشياء كثيرة، وأمور شتى، ولكن المؤمن سد أبواب الخوف كلها، فلم يعد يخاف إلا الله وحده، يخافه أن يكون فرط فى حقه، أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم؛ لأنهم لا يملكون له ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا .

دعا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى توحيد الله، وتحطيم الأصنام، فخوفه قومه من آلهتهم التى دعا إلى نبذها، فقال إبراهيم متعجبًا: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ ءَالَيْكُمْ سُلْطَنًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١]. وقد عقب الله على ذلك حاكمًا بين الفريقين فقال: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وفسر النبي ﷺ الظلم في هذه الآية بالشرك ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]. فبين لنا أن الإيمان والتوحيد هما أعظم أسباب الخوف والاضطراب والرعب. وصدق الله إذ قال: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ [آل عمران: ١٥١].

والملحدون الجاحدون أكثر الناس مخافة - وإن كتموها عن الناس - إنهم يخافون الزمن والكوارث، والفقر والمرض والناس، وأشد ما يخفيهم الموت، فهم ينظرون إليه نظرهم إلى سبع فاتك، وعدو متربص، ونهاية مجهولة، ومصير مخوف .

المؤمن آمن على رزقه :

هو آمن على رزقه أن يفوت فإن الأرزاق في ضمان الله الذي لا يخلف وعده، وقد خلق الأرض مهادًا وفرادًا وبساطًا، وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، وجعل فيها معاش ووعده عباده بكفالة الأرزاق وعدًا كرره وأكده وأقسم عليه. وعد كريم لا يبخل، قدير لا يعجز، حكيم لا يعثر: ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٨]. ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا تُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٦]. ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨]. ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۖ فَوَرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَقَلٍّ مَّا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣]. ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦]. ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

بهذه الضمانات يعيش المؤمن حياته آمنًا على رزقه، مطمئنًا إلى أن الله لن يهلكه جوعًا، وهو الذي يطعم الطير في الوكنات، والسباع في الفلوات، والأسماك في البحار، والديدان في الصخور .

ولقد كان المؤمن يذهب إلى ميدان الجهاد حاملاً رأسه على كفه، متمنيا الموت في سبيل عقيدته، ومن خلفه ذرية ضعاف، وأفراخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر، ولكنه كان يوقن أن يتركهم في رعاية أب كريم، هو أبر بهم وأحنى عليهم منه .

وتقول الزوجة عن زوجها وهو ذاهب في سبيل الله: إننى عرفته أكالا وما عرفته رزاقا، ولئن ذهب الأكال فقد بقى الرزاق ! .

المؤمن آمن على أجله :

وهو آمن على أجله، فإن الله قدر ميقاتاً مسمى، أياماً معدودة وأنفاساً محدودة، لا تملك قوة أن تنقص من هذا الميقات أو تزيد فيه ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤]. ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا ﴾ [المنافقون: ١١]. ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [نوح: ٤]. ﴿ وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ [فاطر: ١١].

أيقن المؤمن أن الله قد فرغ من الآجال والأعمار، وكتب على كل نفس متى تموت وأين تموت ؟

ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها
وهذا ألقى عن كاهله هم التفكير في الموت والخوف على الحياة. وهذا الأيمن على الرزق والأجل منح المؤمن السكينة والطمأنينة، كما منحه القوة في مواجهة الحياة وما فيها من طغيان وجبروت .

هدد الحجاج سعيد بن جبير بالقتل فقال له: ولو علمت أن الموت والحياة في يدك ما عبدت إلها غيرك!

والمؤمن لا يخاف الموت: ويعيش في خوف من الموت، وجزع من مرارة كأسه، إنه زائر لا بد من لقائه، وقادم لا ريب فيه، والخوف لا يردده، والجزع لا يشنيه، ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ﴾ [الجمعة: ٨]. ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]. ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ويهون الموت على المؤمن أنه سبيل الناس قبله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد اقتفى أثرهم، وسار في دربهم .. إن الموت خطب قد عظم حتى هان، وخشن حتى لان، إنه بلية عمت، والبلايا إذا عمت طابت، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠].

ومتاع الدنيا أهون عند المؤمن من أن يأسى على فراقه بالموت، كيف والموت قنطريته إلى المتاع الباقي، والنعيم السرمدي؟ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. ﴿قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تَظْلُمُونَ فِتْيَلًا﴾ [النساء: ٧٧].

فالموت ليس عدماً محضاً، ولا فناً صرفاً، إنه انتقال من حياة إلى حياة، ومن طور إلى طور، وفي الأثر "إنكم خلقتم للأبد، وإنما تنقلون من دار إلى دار".

وما الموت إلا رحلة غير أنها من المنزل الفانى إلى المنزل الباقي الموت انطلاق من قفص الجسد وغلافه - فى الحياة البرزخية - ثم عودة إليه فى نشأة أخرى يوم البعث والنشور .

إن الله - وهو الجواد المطلق - لا يسلب نعمة أنعم بها إلا وهو يعطى نعمة أكبر منها، فلا يسلب هذه الحياة الضعيفة القيمة التى لا تستحق أن تسمى الحياة الباقية إلا ويعطى حياة أوسع وأبقى وأجمل وأفضل.

وقال يحيى بن معاذ " لا يكره لقاء الموت إلا مريب، فهو الذى يقرب الحبيب من الحبيب " .

ولم تكن هذه نظرة الخاصة أو المتفلسفة أو المتصوفة فقط للموت، ولكنها كانت نظرة جمهور المؤمنين.

قيل لأعرابى اشتد مرضه: إنك ستموت، فقال: وإلى أين يذهب بى بعد الموت؟ قالوا: إلى الله، فقال: وكيف أخاف الذهاب إلى من لا أرى الخير إلا عنده؟

وصدق الله تعالى حين قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نِزْلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

المبحث الثاني عشر

الإيمان والأمل لدى المسلم

من مصادر الأمن والسكينة لدى المؤمن: ما يغمر جوانحه من أمل ذلك الشعاع الذى يلوح للإنسان فى دياجير الحياة فيضىء له الظلمات، وينير له المعالم ويهديه السبيل، ذلك هو الأمل الذى به تنمو شجرة الحياة، ويرتفع صرح العمران، ويذوق المرء طعم السعادة، ويحس ببهجة الحياة .

الأمل قوة دافعة تشرح الصدر للعمل، وتخلق دواعى الكفاح من أجل الواجب، وتبعث النشاط فى الروح والبدن، وتدفع الكسول إلى الجهد، والمجد إلى المداومة على جده، والزيادة فيه تدفع المخفق إلى تكرار المحاولة حتى ينجح، وتحفز الناجح إلى مضاعفة الجهد ليزداد نجاحه. إن الذى يدفع الزارع إلى الكدح والعرق أمله فى الحصاد، والذى يغرى التاجر بالأسفار والمخاطر، أمله فى الربح، والذى يبعث الطالب إلى الجهد والمثابرة أمله فى النجاح، والذى يحفز الجندى إلى الاستبسال أمله فى النصر، والذى يهون على الشعب المستعبد تكاليف الجهاد أمله فى التحرر، والذى يجبب إلى المريض الدواء المر أمله فى العافية، والذى يدعو المؤمن أن يخالف هواه ويطيع ربه أمله فى رضوانه وجنته .

والأمل إذن هو أكسير الحياة، ودافع نشاطها، ومخفف ويلاتها، وباعث البهجة والسرور فيها. ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل! والأمل - قبل ذلك كله - شىء حلو المذاق، جميل المحيا فى ذاته، تحقق أو لم يتحقق. وعندما يذهب الأمل يحل اليأس، وهو بداية التعثر والفشل فإذا يئس التلميذ من النجاح .. نفر من الكتاب والقلم، وضاق بالمدرسة والبيت، ولم يعد ينفعه درس خاص يتلقاه، أو نصح يسدى إليه، أو تهية المكان والجو المناسب لاستذكاره، أو... أو... إلا أن يعود الأمل إليه. وإذا يئس المريض من الشفاء كره الدواء والطبيب، والعيادة والصيدلية، وضاق بالحياة والأحياء، ولم يعد يجديه علاج، إلا أن يعود الأمل إليه. وهكذا إذا تغلب

اليأس على إنسان أى إنسان اسودت الدنيا فى وجهه وأظلمت فى عينيه، وأغلقت أمامه الأبواب، وتقطعت دونه الأسباب، وضاعت عليه الأرض بما رحبت.

وأصبح لا يدري إن كان داريا أقدامه خير له أم وراءه

ذلك هو اليأس: سم بطيء لروح الإنسان، وإعصار مدمر لنشاط الإنسان، وتلك حال اليائسين أبد الدهر، ولا إنتاج للحياة، ولا إحساس بمعنى الحياة.

تلازم اليأس والكفر:

وليس بعجيب أن نجد الكافرين أيأس الناس. كما نجد اليائسين أكفر الناس، فهناك ارتباط بين اليأس والكفر، كلاهما سبب للآخر، وثمره له، اليأس يلد الكفر، والكفر يلد اليأس ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رَّبِّكَ إِلَّا الْفُتُورُ ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿ وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦].

وأظهر ما يتجلى هذا اليأس فى الشدة ونزول الشر، وقد كرر القرآن ذمه لهذا النوع من الناس فقال سبحانه: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ كَفُورٌ ﴾ [هود: ٩]. ثم استثنى من ذلك بعد: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [هود: ١١]. وقال: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾ [الإسراء: ٨٣]، ﴿ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [فصلت: ٤٩].

وليس اليأس من لوازم الكفر فحسب، بل من لوازم الشك أيضا. فكل من فقد اليقين الجازم بالله ولقائه، وحكمته وعدله، فقد حرم الأمل والنظرة المتفائلة للناس والكون والحياة، وعاش ينظر إلى الدنيا بمنظار أسود قاتم، ويرى الأرض غابة والناس وحوشا والعيش عبثا لا يطاق .. على نحو ما قال أبو العلاء: هذا جناه أبى على وما جنيت على أحد. وقال:

لا تبك ميتا ولا تفرح بمولود فالميت للدود والمولود للدود !

الإيمان يلد الأمل:

فالؤمن أوسع الناس أملا، وأكثرهم تفاؤلا واستبشارا، وأبعدهم عن التشاؤم والتبرم والضجر، إذ الإيمان معناه الاعتقاد بقوة عليا تدبر هذا الكون لا يخفى عليها

شئ، ولا تعجز عن شئ، والاعتقاد بقوة غير مصورة، ورحمة غير متناهية، وكرم غير محدود، الاعتقاد بالله قدير رحيم، يحيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، يمنح الجزيل، ويغفر الذنوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، إله هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأبر بخلقه من أنفسهم. إله ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

إله يفرح بتوبة عبده أشد من فرحة الضال إذا وجد، والغائب إذا وفد، والظمآن إذا ورد.

إله يجزى الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف أو يزيد، ويجزى السيئة بمثلها أو يعفو.

إله يدعو المعرض عنه من قريب، ويتلقى المقبل عليه من بعيد، ويقول: «أنا عند حسن ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»^(١).

إله يداول الأيام بين الناس، فيبدل من بعد الخوف أمناً، ومن بعد الضعف قوة، ويجعل من كل ضيق فرجاً، ومن كل هم مخرجاً، ومن كل عسر يسراً.

المؤمن الذي يعتصم بهذا الإله البر الرحيم، العزيز الكريم، الغفور الودود ذي العرش المجيد، الفعال لما يريد، يعيش على أمل لا حد له، ورجاء لا تنفصم عراه، إنه دائماً متفائل، ينظر إلى الحياة بوجه ضاحك، ويستقبل أحداثها بثغر باسم، لا بوجه عبوس قمطير.

فهو إذا حارب كان واثقاً بالنصر؛ لأنه مع الله، فالله معه، ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٢﴾ [الصفاء: ١٧٢-١٧٣].

وإذا مرض لم ينقطع أمله في العاقبة ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧١﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٧٨﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠].

(١) حديث قدسي رواه البخاري وغيره.

وإذا اقترف ذنباً لم ييأس من المغفرة، ومهما يكن ذنبه عظيماً فإن عفو الله أعظم ﴿ قُلْ يَعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وهو إذا أعسر لم يزل يؤمل في اليسر ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿ [الشرح: ٥-٨].

ولن يغلب عسر يسرين أبداً. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لو دخل العسر جحراً لتبعه اليسر.

وهو إذا انتابته كارثة من كوارث الزمن كان على رجاء من الله أن يأجره في مصيبته ويخلفه خيراً منها ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

وهو إذا عادى أو كره، كان قريباً إلى الصلة والسلام، راجياً في الصفاء والوئام، مؤمناً بأن الله يحول القلوب ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَادْتُمْ بِهِمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المتحنة: ٧].

وهو إذا رأى الباطل يقوم في غفلة الحق أيقن أن الباطل إلى زوال، وأن الحق على ظهور وانتصار ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨].
﴿ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٨].

وهو إذا أكردته الشيخوخة، واشتعل رأسه شيباً، لم ينفك يرجو حياة أخرى فيها شباب بلا هرم، وحياة بلا موت، وسعادة بلا شقاء ﴿ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا ﴿ [مريم: ٦١-٦٢].

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

ويونس قد ابتلعه الحوت ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِّنَ الْغَمِّ ۖ وَكَذَٰلِكَ تُنَجَّى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وموسى حين يسرى بقومه لينجو بهم من فرعون وجنوده، فيعلمون بمسراه ويحشدون الحشود ليدركوه ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء: ٦٠-٦١]. وأى إدراك أكثر من هذا؟ البحر من أمامهم والعدو من ورائهم !! بيد أن موسى لم يفرغ ولم يياس، بل قال: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦٢]. ولم يضع أمله سدى .. ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء: ٦٣-٦٦].

ومحمد ﷺ يلجأ إلى غار ثور في هجرته مع صاحبه الصديق، ويقتفى المشركون آثار قدميه، ويقول قائدهم: لم يعد محمد هذا الموضع.. فإذا صعد إلى السماء من هنا، وإما هبط إلى الأرض من هنا.. ويشدد خوف الصديق على صاحب الدعوة وخاتم النبیین ويبكى ويقول: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأنا، فيقول له النبى: ما ظنك باثنين الله ثالثهما، وكانت العاقبة ما ذكره القرآن: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

اشتد أذى المشركين بأصحابه، فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة، وقال لهم في ثقة ويقين: " تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم "

وجاءه أحد الصحابة "خباب بن الارت" وكانت مولاته تكوى ظهره بالحديد المحمى فضايق بهذا العذاب المتكرر ذرعاً، وقال للرسول ﷺ في ألم: ألا تدعو لنا؟ كأنه يستبطئ سير الزمن ويستحث خطاه ويريد حسم الموقف بين الإيمان والشرك بدعوة محمدية تهتز لها قوائم العرش، فينزل الله بأسه بالقوم المجرمين كما أنزله بعباد وثمود والذين من بعدهم.

وغضب النبي ﷺ لهذه العجلة من صاحبه: وألقى عليه درسا في الصبر على بأساء اليوم، والأمل في نصر الغد، فقال: «إن الرجل قبلكم كان يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب، وينشر بالمنشار فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه. والذي نفسى بيده ليظهرن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه.. ولكنكم تستعجلون!!»^(١).

وفي الهجرة من مكة، والنبي خارج من بلده خروج المطارد المضطهد الذى يغير الطريق، ويأوى إلى الغار، ويسير بالليل، ويختفى بالنهار.. وفي الطريق يلحقه الفارس المغامر سراقه بن مالك وفي رأسه أحلام سعيدة ببائة ناقة من حمر النعم - جائزة قريش لمن يأتى برأس محمد حيا أو ميتا - ولكن قوائم جواده تسوخ في الأرض ويدركه الوهن، وينظر إليه الرسول ﷺ ويكشف له عن الغيب المستور لديه فيقول له: «يا سراقه كيف بك إذا ألبسك الله سوارى كسرى؟» فيعجب الرجل ويبهت ويقول: كسرى بن هرمز؟ فيقول: «نعم».

ويذهب الرسول ﷺ إلى المدينة، ويبدأ في كفاح دامٍ مريرٍ مع طواغيت الشرك، وأعوان الضلال، وتسير الحرب - كما هى سنة الله - سجالات، حتى تأتى غزوة الأحزاب فيتألب الشرك الوثنى بكل عناصره، والغدر اليهودى بكل تاريخه، ويشتد الأمر على النبي ﷺ وأصحابه، قريش وغطفان ومن يحطب في جبلهما من خارج المدينة، واليهود والمنافقون من الداخل، موقف عصيب صوره القرآن بقوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ

(١) رواه البخارى .

وَتَتَّبِعُونَ بِاللَّهِ الْاٰطُنُوْنَ ﴿١١﴾ هُنَالِكَ اَبْتُلِيَ الْمُؤْمِنُوْنَ وَزُلْزِلُوْا زِلْزَالًا شَدِيْدًا ﴿١٢﴾ [الأحزاب: ١١-١٢]. فى هذه الساعات الرهيبة التى يذوى فيها عود الأمل، ويخبو شعاع الرجاء، ولا يفكر المرء إلا فى الخلاص والنجاة.. فى هذه اللحظات والنبي ﷺ يسهم مع أصحابه فى حفر الخندق حول المدينة يصدون بحفره الغزاة، ويعوقون الطامعين العتاة - يحدث النبي ﷺ أصحابه عن الغد المأمول، والمستقبل المرجو حين يفتح الله عليهم بلاد كسرى بفارس، وبلاد قيصر بالشام، وبلاد اليمن بالجزيرة العربية، حديث الواثق المطمئن الذى أثار أرباب النفاق فقالوا فى ضيق وحنق: إن محمداً يعدنا كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الخلاء وحده! أو كما قال القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمَتَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

ماذا تسمى هذا الشعاع الذى يبرز فى دياجير الأحداث من القلوب الكبيرة، فينير الطريق ويبدد الظلام؟ إنه الأمل، وإن شئت فهو الإيمان بنصر الله ﷻ ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥-٦].

وختامًا

اللهم اجعل عملنا هذا خالصًا لوجهك الكريم، وأثقل به موازيننا، وارفع اللهم به درجاتنا، وبيض اللهم به وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من هذا يا أرحم الراحمين، اللهم ثبتنا بالعلم النافع، وثبتنا بالقرآن وثبت اللهم الحق بنا، واجعلنا هداة مهتدين، واجعل هذا العمل حجة لنا لا علينا، واجعله سبيلا إلى مرضاتك ورضوانك وعفوك ورضاك.

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، واجعلنا لآياته من الحافظين، ولأحكامه من العاملين، وللذيد خطابه من المستمعين، اللهم اجعله لنا في الدنيا ضياءً، وفي القبر مؤنسًا، ويوم القيامة سترًا وحجابًا وعتقًا من النار، اللهم ألبسنا به الحلل، وأسكننا به الظلل، وأخرجنا به اللهم من الظلمات إلى النور.

اللهم اختم لنا بخير، وارزقنا اللهم عيشة هنية، وميتة سوية، ومرد غير مخزى ولا فاضح.

اللهم يا مصرف القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتوفنا مسلمين، وأن يلحقنا بالشهداء والصالحين، وأن يجعلنا من عباده المتقين الفائزين، ويجعل ما كتبناه خالصًا لوجهه الكريم، بمنه وكرمه، وأن ينفعنا به ووالدينا، وغفر الله لنا ولوالدينا ولسائر المسلمين أجمعين ولمن قرأ هذا الكتاب أمين يا رب العالمين.

وله المكارم والعلا والجود	تم الكلام وربنا المحمود
ماناخ قمري وأورق عود	وعلى النبي محمد صلواته

والحمد لله رب العالمين حمدًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب بنا ويرضى، وكما ينبغي
لكرم وجهه وعز جلاله، ملء أرضه، وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء
بعد، حمدًا لا ينقطع ولا يبيد ولا يفنى، عدد ما حمده الحامدون، وعدد ما غفل عن
ذكره الغافلون.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله، وخيرته من بريته،
وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، ففتح أبواب الهدى، ومخرج الناس
من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الذى بعثه للإيمان منادياً،
وإلى الصراط هادياً، وإلى جنات النعيم داعياً، وبكل المعروف آمراً وعن كل منكر
ناهياً فأحيا به القلوب بعد مماتها، وأنارها بعد ظلمتها، وألف بينها بعد شتاتها، فدعا
الله عز وجل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد فى الله تعالى حق جهاده،
حتى عبد الله وحده لا شريك له، وسارت دعوته سيرة الشمس فى الأقطار، وبلغ
دينه الذى ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار، وصلى الله عز وجل وملائكته وجميع
خلقه عليه كما عرف بالله تعالى ودعا إليه، وسلم تسليماً.

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والأمهات الأساسية

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- كتب الحديث الشريف «كتب الصحاح جميعها - كتب السنن جميعها» وشروح البخارى ومسلم.
- ٣- كتب التفسير القديمة والحديثة، ومنها: تفسير القرطبي - تفسير البضاوى - تفسير ابن كثير - تفسير الألوسى - فى ظلال القرآن - تفسير المنار.
- ٤- القواميس اللغوية ومنها: لسان العرب - القاموس المحيط - مختار الصحاح - المعجم الوجيز.

ثانياً: المراجع الفرعية من القديم والحديث:

- ١- ابن تيمية: رسالة العبودية، القاهرة، مطبعة النهضة، ١٣٨٠هـ.
- ٢- ابن تيمية: السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة، ١٣٨٩هـ.
- ٣- ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، القاهرة، مكتبة السنة المحمدية، د. ت.
- ٤- أبو الأعلى المورودى: مبادئ الإسلام، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ.
- ٥- أبو حامد الغزالى: إحياء علوم الدين، القاهرة، مطبعة الحلبي، د. ت.
- ٦- أبو الحسن الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ط: دار الكتاب العربى، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٧- أحمد السايح: حاجة الإنسانية إلى ظهور الإسلام، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١١هـ.
- ٨- أحمد السايح: العقيدة فى الإسلام، مجلة جوهر الإسلام، العدد الثانى من السنة الثانية، ١٣٩٦هـ، تونس.
- ٩- أحمد السايح: الفضيلة والفضائل فى الإسلام، ط: مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٠- أحمد السايح: هذا هو الإسلام، الدوحة، دار الثقافة.
- ١١- أحمد غلوش: الدعوة الإسلامية، القاهرة، مطبعة الأزهر، ١٤٠٧هـ.
- ١٢- أحمد محمد جمال: الدين فطرة وميثاق، كتاب ندوة لمحاضرات موسم حج سنة ١٣٨٩هـ، ط: رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة.
- ١٣- آمنة محمد نصير: مباحث فى علوم العقيدة، مكتبات الكليات الأزهرية، ١٤٠٤هـ.

- ١٤ - أنور الجندى: منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية، ط: دار الاعتصام بالقاهرة.
- ١٥ - السيد رزق الطويل: العقيدة في الإسلام منهج حياة، القاهرة، دار الفكر العربى.
- ١٦ - السيد سابق: العقائد الإسلامية، القاهرة، الفتح للإعلام العربى، ١٩٩٢م.
- ١٧ - حسن أيوب: تبسيط العقائد الإسلامية، القاهرة، دار التراث العربى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٨ - حسنين محمد مخلوف: الرفق بالحيوان، ط: مطبعة المدنى بالقاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٥م.
- ١٩ - سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ط: إدارة البحوث العلمية بالرياض، د. ت.
- ٢٠ - سيد قطب: خصائص التصور الإسلامى، ط: دار الشروق، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٢١ - سيد قطب: المستقبل لهذا الدين، ط ٦، الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية، مطبعة الفيصل.
- ٢٢ - سيد قطب: التصور الإسلامى، ط: دار الشروق، د. ت.
- ٢٣ - سيد قطب: فى ظلال القرآن، ج ٣.
- ٢٤ - شوكت محمد عليان: الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، ط: دار الرشد بالرياض، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٢٥ - عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ج ٥، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، ١٩٧٥م.
- ٢٦ - عباس محمود العقاد: العقائد والمذاهب، مجلد ١١، ط: دار الكتاب اللبنانى.
- ٢٧ - عباس محمود العقاد: الفلسفة القرآنية، ج ٧، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، ٣٦ - ١٩٧٥م.
- ٢٨ - عبد الحليم محمود: الإسلام وتنظيم المجتمع، ط: دار الكتاب العربى بمصر، د. ت.
- ٢٩ - عبد الرحمن بن حسن الشيخ: الرسائل المفيدة، تصحيح عبد الرحمن الرويشد، دار العلوم بمصر، ١٣٩٨هـ.
- ٣٠ - عبد العظيم فودة: الحكم بما أنزل الله، ط: دار الصحوة بالقاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٣١ - عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، دار السنة بالقاهرة، ١٤٠٥هـ.
- ٣٢ - عبد الكريم عثمان: معالم الثقافة الإسلامية، ط ٣، مؤسسة الأنوار بالرياض ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ٣٣ - عبد الله عزام: العقيدة وأثرها فى بناء الجيل، عمان، مكتبة الأقصى، ١٩٨٤م.

- ٣٤- عبد الله ناصح علوان: هذه الدعوة ما طبيعتها، ط٢، دار السلام للطباعة بالقاهرة، ١٩٨٦م.
- ٣٥- محمد أمين المصري: إملاءات في العقيدة، دمشق، د. ت.
- ٣٦- محمد حسين الذهبي: الدين والتدين، دراسة بمجلة البحوث الإسلامية، ج١٠، ط: دار الإفتاء والبحوث بالرياض، ١٣٩٥هـ.
- ٣٧- محمد رأفت سعيد: التوازن في التصور الإسلامي، الرياض، كلية الشريعة، ١٤٠٥هـ.
- ٣٨- محمد شتا أبو سعد: قل هو الله أحد، الرياض، سلسلة مستقبل التشريع الإسلامي، ١٤١٢هـ.
- ٣٩- محمد صالح عثمان: وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ.
- ٤٠- محمد عبد الله دراز: الدين، القاهرة، دار النهضة، د. ت.
- ٤١- محمد عبد الرحمن بيسار: العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، ط٤، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٤٠٠هـ.
- ٤٢- محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، ط: دار الشروق بالقاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٤٣- محمد الغزالي: عقيدة المسلم، القاهرة، دار الدعوة، ١٩٩٠م.
- ٤٤- محمد قطب: لا إله إلا الله عقيدة وشريعة، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٣م.
- ٤٥- محمد المبارك: العقيدة في القرآن الكريم، ط١٠، بيروت، دار الفكر، د. ت.
- ٤٦- محمد نبيل غنيم، عمر سليمان الأشقر وآخرون: دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، مكتبة الفلاح بالكويت، ١٤٠١هـ - ١٩٨٨م.
- ٤٧- محمد يوسف موسى: الإسلام والحياة، ط: مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
- ٤٨- محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ت.
- ٤٩- محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام، ط: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١٣٨٩هـ - ١٩٥٩م.
- ٥٠- يوسف عبد الهادي الشال: الإسلام وبناء المجتمع الفاضل، ط: الأزهر، ١٣٩٢هـ - ١٩٧١م.
- ٥١- يوسف القرضاوى: الإيوان والحياة، القاهرة، مكتبة وهبة، د. ت.
- ٥٢- يوسف القرضاوى: الخصائص العامة للإسلام، القاهرة، دار وهبة، ١٤٠٥هـ.
- ٥٣- يوسف القرضاوى: العبادة في الإسلام، ط: المكتب الثقافى بالقاهرة.

السيرة الذاتية

لفضيلة الدكتور/ أحمد عبده عوض

المؤهـل:

- حصل على الماجستير والدكتوراه فى الدراسات اللغوية والإسلامية من عام ١٩٨٥ إلى عام ١٩٩٢، من كلية التربية قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة طنطا، وعمل معيداً، ومدرساً مساعداً، ثم مدرساً، ثم أستاذاً بالجامعة ذاتها.
- أشرف على عشرات الرسائل فى الماجستير والدكتوراه داخل مصر وخارجها.
- عمل أستاذاً بجامعة أم القرى بمكة المكرمة فى الفترة من ١٩٩٥م إلى ٢٠٠٠م، وأثناء ذلك كانت له برامج دينية فى إذاعة القرآن الكريم بمكة المكرمة، ومشاركات فى الصحف السعودية، ومحاضرات فى نادى مكة الثقافى الأدبى .

التخصص:

- أستاذ العلوم اللغوية والإسلامية .
- داعية وكاتب إسلامى – عضو اتحاد الكتاب المصرى – عضو جمعية حماية العربية – محاضر بمعهد الإذاعة والتلفزيون .
- متحدث فى البرامج الدينية فى إذاعة القرآن الكريم، وفى قنوات التلفزيون المصرى والعربى الأرضية والفضائية .

الأنشطة:

- يشارك فى المؤتمرات اللغوية والإسلامية والتربوية داخل مصر وخارجها.
- يشارك بدور بارز فى الدعوة الإسلامية فى الكتابة، فى المجالات والصحف، وفى اللقاءات اليومية والأسبوعية الثابتة فى المساجد .
- يشارك فى دورات تدريب الأئمة والخطباء، وفى دورات إعداد القيادات.

- المشاركة مع الهيئات الثقافية والدينية في الموضوعات والقضايا التي تعالج مشكلات الشباب، وفي المسابقات الثقافية والدينية، وفي إلقاء خطبة الجمعة على مدى ثلاثين عامًا متواصلة في الموضوعات تتصل بقضايا التثبیت والإيمان ومواجهة مشكلات الحياة .

اهتمامات:

- ١ - الكتابة الإسلامية والتأليف .
- ٢ - العناية بدراسة القضايا الإسلامية .
- ٣ - العناية بتأصيل الفكر الإسلامى .
- ٤ - الدفاع عن اللغة العربية، وبيان أهميتها للدين الإسلامى .
- ٥ - رصد الأخطاء اللغوية، وتشخيصها، والتصدى لعلاجها .
- ٦ - العناية بقضايا التربية الإسلامية القرآنية .
- ٧ - بيان وسطية الإسلام وسماحته، ويسره، واعتداله، مناسبتة لظروف الناس وأحوالهم، وتحبيب الناس فى الإسلام .
- ٨ - تذكير الناس بورع السلف، وكيفية محاسبة النفس، وتصفية أعمال القلوب، وكيفية التعرف إلى الله عز وجل .

اللهم اجعل هذا خالصاً لوجهك الكريم، وتقبله منا يا رب العالمين

المؤلفات المنشورة

- ١- فنون اللغة (رؤية فنية، ملامح قرآنية) - مركز الكتاب للنشر، بالقاهرة .
- ٢- التقوى في القرآن الكريم (دراسة لغوية تفسيرية إحصائية)، دار الصحابة بطنطا .
- ٣- العدل في القرآن الكريم (بين العلم والكون والإيمان)، المكتبة القيمة بالقاهرة .
- ٤- الإشارات العلمية في القرآن الكريم (بين العلم والكون والإيمان)، المكتبة القيمة بالقاهرة .
- ٥- فضل التحدث باللغة العربية، والالتزام بها، مركز الكتاب للنشر، القاهرة .
- ٦- الموت حقيقة منسية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة .
- ٧- مداخل اللغة العربية - دار الندى للنشر .
- ٨- معالم شهر الصيام - مشترك - مركز الكتاب للنشر .
- ٩- قضايا البيئة من منظور إسلامي - مشترك - دار الندى للنشر .
- ١٠- تحقيق مخطوطة (الفرائد والقلائد) للإمام الثعالبي - مشترك .
- ١١- تحقيق مخطوطة (غور الأمور) للحكيم الترمذى - مشترك .
- ١٢- تحقيق مخطوطة (الصراط المستقيم) للفيروز أبادى - مشترك .
- ١٣- الزواج بين الدين والطب - مشترك .
- ١٤- المخدرات بين الدين والطب - مشترك .
- ١٥- نورانيات سورة يوسف عليه السلام .
- ١٦- نورانيات سورة التوبة .
- ١٧- تعليم اللغة العربية بين الفروع والفنون .
- ١٨- صفات أهل القرآن الكريم .
- ١٩- دراسات فى علوم القرآن الكريم .
- ٢٠- تحقيق مخطوطة (بحر الكلام فى علم التوحيد) .
- ٢١- تحقيق مخطوطة (تاريخ المساجد الثلاثة) .
- ٢٢- تحقيق مخطوطة (الدرة الفاخرة) .
- ٢٣- تحقيق مخطوطة (لطائف أهل الإلهام) .
- ٢٤- تحقيق مخطوطة (مسائل القرآن للرازى) .
- ٢٥- أدب الطفل العربى رؤية إسلامية .
- ٢٦- الإعداد لمعجم عن الإمام النورسى .
- ٢٧- الأخطاء الشرعية فى الأمثال العامة .

- ٢٨- الخط في التراث العربى الإسلامى .
- ٢٩- الإسلام والبعث الحضارى .
- ٣٠- العقيدة والسلوك والانفصام بينهما .
- ٣١- التسامح فى الإسلام (صور ومقابلات) .
- ٣٢- الوسطية والاعتدال فى المنهج الإسلامى .
- ٣٣- طاعة الله ورسوله الكريم وأولى الأمر .
- ٣٤- أصول المنهج العلمى عند العرب والمسلمين .
- ٣٥- قراءة تأملية فى فكر الإمام الغزالى .
- ٣٦- دور المضمون الإعلامى فى النهضة الثقافية للأمة الإسلامية .
- ٣٧- اللغة العربية جامعة للفكر العربى والإسلامى .
- ٣٨- قضايا إيمانية حول أسماء الله الحسنى .
- ٣٩- أسماء القرآن الكريم .
- ٤٠- التربية الإيمانية فى القرآن الكريم .
- ٤١- سبيل الوصول إلى بلاغة الرسول ﷺ (ثلاثة أجزاء) .
- ٤٢- الخطرات منجيات ومهلكات .
- ٤٣- خواطر قرآنية إعجازية .
- ٤٤- تجليات الإيمان فى حياة المسلم .
- ٤٥- سمات المنهج العلمى والإعلامى فى الإسلام .
- ٤٦- القراءة العربية مدخل قرآنى .
- ٤٧- الكتابة العربية مدخل قرآنى .
- ٤٨- تدريس التربية الإسلامية .
- ٤٩- الرسول ﷺ فى القرآن الكريم .
- ٥٠- آداب المعاملات فى الإسلام .
- ٥١- الأخطاء اللغوية، وخطورتها فى التحدث والكتابة .
- ٥٢- موجبات الرحمة - مشترك .
- ٥٣- عزائم المغفرة - مشترك .
- ٥٤- أنوار المنان فى سيدة آى القرآن .
- ٥٥- حوار الحضارات والأديان فى الميزان .
- ٥٦- الحوار فى الإسلام ودوره فى الدعوة والتربية والثقافة .

سلسلة لقاء الإيمان

اقرأ فى هذه السلسلة :

- الأدعية الجامعة
- أسرار وأنوار
- فى صحبة الأحاديث القدسية
- فى رحاب الرحمن (المسافرين إلى الله)
- التجارة الربحة (المجاهدة والتجارة مع الله)
- من الهداية إلى الثبات
- وتزودوا (الاستقامة والإنابة)
- الأدوية النبوية الجامعة
- الأدوية الإسلامية الجامعة
- خير الزاد فى صلاح العباد
- الإسلام والبعث الحضارى
- العقيدة والسلوك من الإيمان إلى التطبيق والانفصام بينهما
- فاسألوا أهل الذكر (فتاوى مبسطة)
- المحمديات (فى ظلال أخلاقه ﷺ)
- نصرة رسول الله ﷺ
- مع الله (رحلة اليقين)
- ففروا إلى الله (الموقظات)
- الذين يبلغون رسالات الله (فى معية الأنبياء)

- سبحانه (ويأبى الله)
- وكيف تكفرون؟ (معية الإيمان والعلم والمحبة)
- هذا ذكر (سورٌ وإعجاز)
- آداب ومعاملات
- ليس منا
- واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله (رحلة الحياة)
- لعلك ترضى (ولسوف يرضى)

البرامج المرئية والمسموعة في أجهزة الإعلام

- ١- برنامج (لقاء الإيمان) في القناة السادسة على مدى أعوام على الهواء مباشرة .
- ٢- برنامج (أسرار وأنوار) قناة المحور الفضائية ٢٠٠٤ م ولا يزال يعاد حتى الآن .
- ٣- برنامج (فاذكروني أذكركم) القناتان الأولى والثانية ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م .
- ٤- برنامج (في رحاب القرآن) قناة السفر العربي الفضائية ٢٠٠٥ م .
- ٥- برنامج (في نور الأحاديث القدسية) الفضائية المصرية ٢٠٠٥ م .
- ٦- قناة التنوير: جنود الله ٢٠٠٥ م .
- ٧- برنامج (مفاهيم إيمانية) الفضائية السودانية ٢٠٠٥ م .
- ٨- برنامج (من آيات الرحمن) القناة الثقافية ٢٠٠٤ م .
- ٩- برنامج (بلاغة الرسول ﷺ) إذاعة القرآن الكريم المصرية على مدى سنوات عديدة .
- ١٠- برنامج (حديث من القرآن الكريم) إذاعة القرآن الكريم السعودية .
- ١١- برنامج (عظماء الإسلام) القناة الثالثة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٤ م وبرنامج (حديث الجمعة) .
- ١٢- برنامج (الفتاوى) في قنوات: اقرأ، المحور، دريم، الثقافية .
- ١٣- برنامج (في نور القرآن الكريم) القناة الثانية .
- ١٤- برنامج (المجلة الإسلامية) القناة الأولى .
- ١٥- برنامج (مع الله) و (فضفضة إيمانية) و (صباح الإيمان) في قناة الناس .
- ١٦- تسجيلات صوتية ومرئية في شركة صوت القاهرة .

١٧ - عدة إصدارات صوتية تتجاوز الخمسين، والله الحمد .

- سلسلة المحمديات شركة النور الإسلامية
- سلسلة ففروا إلى الله شركة النور الإسلامية
- سلسلة موقظات شركة ذى النورين
- سلسلة داعى الله شركة عمران للتسجيلات الإسلامية

١٨ - أكثر من ستين كتاباً شرعياً مطبوعاً منشوراً داخل مصر وخارجها .

١٩ - أمسيات دينية وخطبة الجمعة فى إذاعة القرآن الكريم، وبرنامج (تقديم التلاوة) فى إذاعة القاهرة (البرنامج العام) .

فضلاً عن جهد متواضع فى نشر الدعوة الإسلامية على مدى ثلاثة عقود، والله الحمد، وأحتسب الأجر من الله تعالى، وأرجو كرم ردكم علىّ.

نفع الله بكم، وشرح الله صدركم، وأدام عليكم نعمته وحفظه، وجعلكم من أسباب تبليغ الرسالة ونشر الإسلام ﴿وَيَأْتَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾ .

آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أحمد عبده عوض

الداعية والمفكر الإسلامى

ت.م: ٠١٠٣٩٢٠٤٥٤ - ٠١٠٢٣٥٠٤٠٤

٠١٠٢٤٢٨٣١٣ - ٠١٦٦٨٧١٦٥٦

جمهورية مصر العربية

هذا الكتاب

عقيدة المسلم هي الأساس في سلوكه،
وحياته، وبقدر ما تستقر العقيدة
الصحيحة في قلب المسلم يترتب على ذلك
خوفه من الله، وهدايته، وصلاحه،
واستعداده لليوم الآخر.

وإن استقرار العقيدة في الأئمة يتوقف عليه تنفيذ جميع التشريعات، ومن هنا
تأخر نزول التشريع إلى المدينة حتى تستقر العقيدة في نفوس الصحب الكرام
الذين جعلهم الله ستارا لدينه، ونصر هذا الدين على أيديهم.

وكذلك فإن العقيدة تمثل الجذور لشجرة هذا الدين، وما لم تكن الجذور ضاربة
في أعماق الأرض فإنها لن تحمل فروع هذه الشجرة الضخمة الباسقة، فالعمل
الصالح لا بد له من إيمان متمكن في جوانب النفس وأغوارها وأعماق الفؤاد.

وكذلك فالعقيدة تمثل الأساس للبناء، والعمارة الضخمة لا بد لها من أساس
مكين وقاعدة صلبة؛ حتى يستقر فوقها البناء.

في ضوء هذه المعاني يأتي كتابنا (العقيدة والسلوك) محدداً لمفهوم العقيدة
والإيمان، ومبرراً أثر الإيمان في حياة المسلم وسلوكه، ومحللاً أثر العقيدة في
حياة المجتمع وأنظمتها وشؤونها، ثم يخلص إلى ظاهرة الانفصام بين العقيدة
والسلوك، وفي إطار ذلك يعرض لعدد من القضايا المهمة.. منها مفهوم العقيدة..
حاجة الإنسان إلى العقيدة الصحيحة، مزايا العقيدة الإسلامية وخصائصها.... إلخ.

ولعل هذا الكتاب يكون ذا نفع في المكتبة العربية الإسلامية حيث يتناول أهم
الموضوعات في حياتنا وهو (العقيدة وسلوك المسلم).

والله تعالى نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به،
ويثقل به، ويرفع به درجاتنا في أعلى عليين، إنه سميع عليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين